"التغريب" جهوده وآثاره في العالم الإسلامي

الدكتور سعيد محمد اسماعيل الصاوى
أستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية بالكلية

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعـــد ...

فان الاسلام الحنيف هو فطرة الله التى فطر الناس عليها . دينـــا وحيـــاة .

وقد تناول شئون الدين والاعتقاد . وشئون الحياة الخاصـــة والعامة . ومنها علاقات الناس بعضهم بعضا .

ودعـــا الناس الى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . واللجوء اليهما فى كل الأمور العامة والخاصة دينا وحياة ، وربط بين الايمان والعمل ، وأوجب على العلماء أن يقوموا برســـالة الأنبياء فى الدعوة الى الله تعالى . واسداء النصح والتوجيه الى خلقه . كمـــا أوجب على الأمة كلها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد التزم المسلمون الأولون بتطبيق قواعد الدين فى حياتهم النظرية والتطبيقية . فكرا وسلوكا وأخلاقا . وبهـــذا استطاعوا أن يفتحوا الدنيا . حتى اتسعت دولة الإســـلام فى كل أرجـــاء المعمـــورة .

ثم لأمـر ما ٠ بدأ المسـلمون فى البعـد عن مبادىء الدين الصحيح وروحه شيئا فشيئا ٠ حتى اتسعت الهوة بينهم ٠ وبين مبادىء دينهم وواقع الحياة العملية ٠ مع أن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ حث المسلمين على العمل فى كل جوانب الحياة بجد واخلاص قال تعالى ـ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله (١) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ٠ ولا تنس نصيبك من الدنيا ٠٠ (٢) وقال صلى الله عليه وسلم ـ أنتم أعلم بشئون دنياكم ـ (٣) ٠

ولمـا اتسعت الهوة بين المسلمين ٠ وواقع الحياة بدأوا يلتمسون سبل الحياة عند غيرهم ـ وخاصـة الغربيين ـ حتى أصبح العالم الاسلامى نسخة مكررة ٠ وان شئت فقل مشوهة من العالم الغربى غير المسـلم ٠

ولكى يعود المسلمون الى أصالتهم ومجدهم ٠ لابد أن يعود المفهوم الاسلامى الصحيح للدين والحياة ٠ قولا وفعلا نظريا وتطبيقيـا ٠

وهذا بحث عن ـ التغريب : جهوده وآثاره فى العـالم الاسـلامى ـ بينت فيه : متى ٠ وكيف ٠ ولمـاذا ٠ بدأ المسلمون يسلكون مسـالك الغرب ؟ وما هى الآثار المترتبة على هذا كله ؟ وما هو واجب المسلمين تجاه التيـار الغـربى

---

(١) سورة الجمعة آية : ١٠

(٢) سورة القصص من الآية ٧٧ ٠

(٣) مسند الامام أحمد جـ ٦ ص ١٢٣ ط دار صادر بيروت بدون تاريخ

مفهـــوم — التغريب —

مفهوم التغريب مأخوذ من الثلاثى — غرب — وهذا الثلاثى يعنـــى :

أولا : الاختفاء والغياب • أو الذهاب والتنحى والبعد عن الوطـــن أو المبـدأ •

ثانيا : كما يعنى هذا المفهوم : المجىء بالشىء الغريب • ماديا أو معنويا ، وقد جاء فى المعاجم اللغوية مايؤيد هذا المعنى:
يقال : غربت الشمس غروبا : اختفت فى مغربهـا — وغرب فلان : غاب • والقوم : ذهبوا • وغرب عنه : تنحى • يقال : أغــرب عنى : تنحى عنى • وغرب فلان غربا وغربة : بعــد عن وطنــه •

وغرب القوم : ذهبوا ناحية المغرب • قال الشــاعر : —

ســارت مغربة ، وسرت مشرقا   شــتان بين مشرق ومغرب

واغترب وتغرب : نزح عن الوطن • واحتد ونشط(٤)
والتغريب : النفى عن البلد (٥) •

ثالثا : كما يعنى التغريب : اتيان الغرب •

يقال : — أغرب : أتي الغرب • وصار غريبا • وارتحل•

---

(٤) القاموس المحيط باب الباء فصل الغين • جـ ١ ص ١٠٩ والمعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٤٧ •

(٥) مختار الصحاح ص ٤٧٠ •

وجاء بالشيء الغريب وأغرب في كلامه : أتي بالغريب البعيد عن الفهم (٦) ٠

وبناء على ما جاء في المعاجم اللغوية ٠ أرى أن التغريب هو : الاتيان الى الغرب ٠ أو الاحتكاك بالغرب بأى صورة من الصور ، والتفاعل معه ، والأخذ عنه في أى شيء ٠

ولنستمع الى أحد قواد الغرب المهتمين بتغريب العالم الاسلامى وهو هاملتون جب (٧) حيث يقول في كتابه ـ وجهة الاسلام ـ وهو أول كتاب وضع عن مخطط التغريب للعالم الاسلامى ـ تقريبا ـ :

الواقع أننا اذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ، ولمدى تغلل الثقافة الغربية في الاسلام ، كان علينا أن ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية ٠ علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة ٠ والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية ٠ بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان هذه الدول الاسلامية ٠ فتتخذ شكلا يلائم ظروفها ٠

والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التغريب ـ أو الفرنجة ـ هو :

أن نتبين الى أى حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربى ٠ وعلى المبادىء الغربية ٠ وعلى التفكير الغربى ٠

---

(٦) القاموس المحيط جـ ٢ ص ١٠٩ ومختار الصحاح ص ٤٧٠ ٠

(٧) هو مستشرق انجليزى ١٨٩٥ ـ ١٩٧١م من مواليد الاسكندرية بمصر ، وهو من كبار المستشرقين المتقنين اللغة العربية والثقافة الاسلامية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٠ والمجمع العلمي العربى بدمشق ـ المستشرقون جـ ٢ ص ١٢٩ ٠

والأساس الأول فى كل ذلك : هو أن يجرى التعليم على الاسلوب الغربى • وعلى المبادىء الغربية • وعلى التفكير الغربى •

هذا هو السبيل الوحيد • ولا سبيل غيره (٨) •

والواضح من كلام جب عن التغريب أنه يقصد به • أن يصبح المسلم غربيا فى كل شىء فى حياته • ظاهرا وباطنا : أى فى عاداته وتقاليده • وفى قيمه ومبادئه • وفى أفكاره وأخلاقه ••••• الخ •

وقد صرح هامتون جب بهذا المقصد التغريبى حين قال عن التغريب : انه بذل الجهود المكثفة لحمل العالم الاسلامى على الانصهار فى الحضارة الغربية • وقبول ذهنية الغرب • وغرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم • وحتى تجف فى نفوسهم موازين القيم الاسلامية •

ويتطلب تحقيق ذلك : ايجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة •

وذلك باثاره الشبهات • وتحريف التاريخ الاسلامى • ومبادىء الاسلام • وثقافته • واعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله • وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ، ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافية

---

(٨) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر • د• محمد محمد حسين ج ٢ ص ٢٠٨ •

والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة · أو محاولة انتقاص القيم الاسلامية · والغض عن مقدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية (٩) ·

كما يوضح هذا المعنى الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة بقوله :

ان اللفظة الأجنبية التى تعنى التقريب:(ويستر نيزيشا)

يقصد بها:محاولة طبع البلاد الآسيوية والافريقيةعامة· والاسلامية خاصة بطابع الحضارة الغربية ، وذلك توصلا الى طبع النفسية والعقلية بهذاالطابع عن طريق انطباعالظاهر· اذ من المعلوم : أن حالة من القلق تسرى فى النفس اذا ظل ظاهر الانسان وعقله فى واد · وقلبه وروحه فى واد آخر · فاما أن يتبع الباطن ظاهره · واما أن يتبع الظاهر باطنه · ولما كان انطباع الظاهر بطابع الحضارة الغربية لا يكلف الغربيين عناء المواجهة المباشرة مع العقائد والأسس الكامنة · فقد تركت هذه المواجهة تعملعملها داخليا·وبفعل هذا العامل النفسى ، وذلك تحت ضغط مستمر على الظاهر حتى لا يستطيع الفكاك من طابع الحضارة الغربية · ومع مرور الزمن يألف الباطن ظاهره · ويتغير تبعا له · وتسود الحضارة الغربية

---

(٩) أهداف التغريب فى العالم الاسلامى : أ· أنور جندى ص ١٣ ؛

(١٠) أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف سابقا · وذلك فى كتابه - دور الاستشراق فى تغريب المرأة المسلمة ص ١٦ ·

على هذا العالم الاسلامى ظاهرا وباطنا • وتزول سيادة الاسلام في بـــلاده حســـا ومعنى •

واذا كان ذلك هو معنى اللفظ الأجنبى للتغريب :
فقد كان من محاسن الاتفاق • أن يحمل اللفظ العربى ــ التغريب ــ معنى قريبا متبادرا آخر هذا المعنى يعود الى الغربة •

فالتغريب بمعنى ابعاد المرء ليعيش فى بلاد الغربة •

تغريب بدنى • يستتبع شعورا بالغربة النفسية • وهى أشد وقعا وايلاما من الغربة البدنية •

ولذلك كان التغريب عقوبة مقـــررة فى بعض القوانين بالنسبة لبعض المعاصى والمخالفات •

وهذا المعنى العربى لازم من لوازم المعنى لمفهوم التغريب •

اذا فالتغريب هو محاولة تغيير المفاهيم فى الأمة الاســلامية لتعيش فى غربة عن مفاهيمها الأصلية والأساسية •

والفصـــل التام بين هذه الأمة • وبين أصالتها وقيمهـا وأخلاقها ومبادئها والعمل على تحطيـــم كل هذه الأمـور • بالتشكيك فيها • واثارة الشبهات حولها • ليسهل انســـلاخ المسلم منها • ويعيش غريبا عنها • وليسهل تقبله لـما يريده له الغرب من عقائد وقيم ومبادىء وأفكار وعادات وتقاليـــد غربية • غريبة عن المسلم أصــلا شكلا وموضوعا •

بدايات التغريب فى العالم الاســلامى :

لقد فتح المســلمون كثيرا من بلاد العالم شرقا وغربـا • شمالا وجنوبا • وكان لكل منها : لغته • وثقافتـــه ، وعاداته وتقاليده • وقوانينه التي تحكمه ؟

ولما دخل المسلمون الى هذه البلاد : حملوا اليها الدعـوة الاسلامية وطبقوا عليها نظام الاسلام · دون قسر واكراه ·

وذلك : لقوة الاسـلام الحنيف · وصدقه · وبسـاطة عقيدته · وفطريتهـا ·

فدخلوا فى دين الله أفواجا · ولذلك صـارت البلاد المفتوحة جميعها مع البلاد العربية الاسلامية ، بلدا واحدا ، بعدما كانت بلادا متعـددة وصـارت الشـعوب المتعددة · أمة واحدة هى الأمة الاسلامية · بعدما كانت شعوبا متعددة متفرقة (١١) ·

ومرت أيام الخلفاء الراشدين · وجاءت بعدها أيام الـدولة الأموية · وشخصية المسلمين هى الشخصية السـائدة المؤثرة فى غيرها ، حتى أعطى المسلمون وغيرهم :

١ ـ الدين الاسلامى الذى اعتنقه الناس · وأحلوه محـل أديانهم الوثنية ، وطبعوا بطابعه أكثر أمورهم ، وعاشـوا فى ظله فى وحدة اسلامية · كانت تضـم أعظم امبراطـورية فى خلافة الراشدين · والأمويين · والعباسيين · عدا تلك الدول الاســلامية الكبيرة والصغيرة التى انبثقت منهـا فى الشرق والغـــرب ·

ولم تزل الأمم التى دخلت فى دائرة الاسـلام تؤمن بهـذا الدين وتجله · وتحترمه · وتقيم شعائره · وتدافع عنه بشتى اللغـــات ·

---

(١١) الثقافة والثقافة الاسلامية : سميح عاطف الزين ص ٤٥

٢ - الأخلاق العربية الاسلامية ، فقد اقتبست هذه الأمم كثيرا من أخلاق العرب المسلمين · وعاداتهم التى كانوا يتصفون بها فى كافة مجالات الحياة ·

٣ - اللغة العربية · وهى اللغة التى أنزل الله تعالى بها القرآن الكريم · والتى اصبحت مع الزمن لغة السياسة والعلم والثقافة والتخاطب عند العرب والمسلمين من العرب وغير العرب · وتعلم الناس شعرها ونثرها · ونحوها وبلاغتها ·

٤ - الخط العربى · الذى أصبح المقدس · الذى دون به القرآن الكريم · والذى أقسم الله تعالى به « ن والقلم وما يسطرون »(١٢) ·

والذى كان اساسا للدين الاسلامى والحضارة العربية الاسلامية · فصار يكتب به المسلمون كافة · فى آسيا وافريقيا وأوربا ·

وقد تفنن المسلمون فى رسم حروفه وتحسينها · حتى وصل الى اعلى مراتب الجمال عند العرب والفرس والأتراك وغيرهم (١٣) ·

كان هذا حال الاسلام والمسلمين فى عصورهم الأولى الزاهرة · كان لهم الفضل الكبير على العالم شرقيه وغربيه ·

ثم بدأ المسلمون وفى مقدمتهم الخلفاء يتطلعون بواسطةمن

---

(١٢) سورة القلم : آية ١ ·

(١٣) أصالة الحضارة العربية - د· ناجى معروف ص ٣٨٨ ·

حولهم الى التعرف على الحضارات والثقافات الشرقية والغربية: اليونانية والفارســية والهندية وغيرها ..

وكان لابد لهم من ترجمة كتبها . فاتجهوا الى علماء هذه الحضــارات والثقافات ليقوموا بالترجمــة الى اللغة العربية ، فنقلوا اليها أهم كتب أرسطو(١٤) .

وشروحها بما فيها المنطق . وأهم كتب أفــلاطون (١٥) وجالينوس(١٦) فى الطب وغير ذلك مماأنتجه العقل اليونانى.

حتى جاء المــأمون العباسى فنظم أمور الترجمة . وراسل الملوك - خاصة ملوك الروم - ليمدوه بما لديهم من تراث ليعمل على ترجمته . فنشطت الترجمة واتسعت .

ووجدت هذه المواد المترجمة اقبــالا عليهــا من المسلمين ليزدادوا علما واحاطة بما لدى غيرهم .

---

(١٤) هو فيلسوف يونانى ، ولد فى مدينة اسطاغيرا . وهى مدينة يونانية قديمة على بحر ايجة فى الشمال الشرقى من شبه جزيرة خلقيدية على حدود مقدونية فى الفترة بين عامى ٣٨٥ - ٣٢٢ ق م .

(١٥) ولد فى آثينا . أو فى ايجين سنة ٤٢٨ ق م من أسرة ماجدة حيث كان أبوه كودروس آخر ملوك آثينــا . وتتلمــذ أفلاطــون على يد سقراط . وبعد مقتل سقراط رحل أفلاطون الى مصر ونهل من معــارفها وخصص حياته للفلسفة الى أن توفى سنة ٣٤٧ قم - الفلسفة الاغريقية د. محمد غلاب ص ١٨٧ .

(١٦) هو أكبر الأطباء فى التاريخ من عصر الاغريق حتى عصر الرازى ولد سنة ٥٩ م وتوفى سنة ٢٠٠م .

يقول العلامة ابن خلدون(١٧) عن المسلمين فى هذا الشأن:

[انهم تفننوا فى الصنائع والعلوم ۰ وتشوفوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية ۰ فبعث ابو جعفر المنصور الى ملوك الروم أن يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمه ۰ فبعث اليه بكتاب اقليدس(١٨) ۰ وبعض كتب الطبيعيات فقراها المسلمون ۰ واطلعوا على ما فيها ۰ وازدادوا حرصا على الظفر بما بقى منها ۰ وجاء المأمون بعد ذلك ۰ وكانت له فى العلم رغبة بما كان ينتحله ۰ فانبعث لهذه العلوم حرصا ۰ وأوفد الرسل على ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى وبعث المترجمين لذلك ۰ وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وحذقوا فى فنونها ۰ وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها ۰ وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول ۰ واختصوه بالرد والقبول ۰ لوقوف الشهرة عنده ۰ ودونوا فى ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم فى هذه العلوم](١٩) ۰

والظاهر من كلام ابن خلدون أن الجانب الذى عنى به المسلمون وحكامهم من التراث اليونانى وغيره ۰ هو الجانب

---

(١٧) هو العالم الاجتماعى عبد الرحمن بن خلدون المالكى ، ولد ٧٣٢هـ - ١٣٣٢م فى تونس ۰ ونشأ فيها ۰ وكانت فى ذلك الحين تموج بأفواج من العلماء النازحين اليها من الأندلس بعد أن اضطربت أمورها فأفاد منهم افادة كبيرة ۰

(١٨) من أشهر علماء الهندسة الاغريق ، وقد تعلمها فى مدرسة الاسكندرية فى القرن الثانى ق م ۰

(١٩) مقدمة ابن خلدون ص ٣٠٢ ۰

العقلى والعلمى • كالمنطق والطب والفلك والرياضيات وما يشبه ذلك •

أما الجانب الأدبى • وكل ما يتصل بالعاطفة • فلم يعنوا به تماما كغيره • لاختلاف المقاييس والمشارب فى هذا النوع من التراث ـ وان كان لا ينتفى التأثر بهذا الجانب ـ

أما الجانب العقائدى والأخلاقى فى هذه الثقافات ـ فقد رفضوه رفضا قاطعا •

وبهذا أصبح لهذه الحضارات والثقافات ـ وخاصة اليونانية ـ سوقها الرائجة لدى المسلمين • وفى مقدمتهم حكامهم •

[وكان لهذه الثقافة اليونانية أثر كبير فى المسلمين • ومما زاد من أثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب عصر تدوين العلوم العربية والاسلامية • فتسربت الثقافة اليونانية اليها • وصبغتها صبغة خاصة • كان لها تأثيرها فى الشكل • وفى الموضوع •

أما الشكل فيرجع الى تأثير المنطق اليونانى • وقد صبغ العلوم العربية الاسلامية صبغة جديدة صبت فى قالبه • ووضعت على منهاجه اذ كان المنطق ـ كما قال ابن سينا(٢٠) خادم

---

(٢٠) هو الشيخ أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا ـ ٣٧٥/٤٢٨هـ الفليسوف الطبيب • أرسطو الاسلام وأبقراطه • وهبه الله قسطا كبيرا من الذكاء والفطنة منذ طفولته استطاع به أن ينال قسطا وافرا من العلم والمعرفة فى شتى مجالات الحياة •

العلوم • عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة](٢١)•

أما فى الموضوع : فقد كان للفلسفة اليونانية أثر كبير فى تعاليم المتكلمين ــ خاصة المعتزلة ــ وفى التصوف • وكان لهما معا أثر كبير فى الفلسفة الاسلامية • وكان للبلاغة اليونانية أثر فى علم البلاغة العربية(٢٢) •

ولكن مما لا شك فيه : أن العرب المسلمين استخدموا ما أخذوا من الثقافة اليونانية استخداما صالحا • وأخذوا منها ما أخذوا • ثم بنوا عليه • وزادوا فيه وابتكروا • ولم يكن موقفهم موقف الناقل فحسب • بل كان كثير منهم ينظر باحدى عينيه الى الثقافة اليونانية وبالعين الأخرى الى الثقافة العربية والاسلامية • فيختار من الأولى • ما يتفق والثانية • ويؤلف منهما مزيجا • لا هو يونانى بحت • ولا هو اسلامى بحت(٢٣)

وهذا يعنى أن المسلمين قد قاموا بعملية تشبه عملية التطعيم للأشجار بما هو نافع للتطعيم • حسب اجتهادهم • ليوجدوا نوعا يجمع محاسن النوعين • فلم يستعملوا الثقافة اليونانية أو الفارسية أو غيرهما للهدم • أو لتغيير المعالم الأصلية • للثقافة العربية الاسلامية • وانما لخدمتها • ووقف علماؤنا المخلصون(٢٤) سدا منيعا • أمام مثالب التيار الغريب

---

(٢١) ضحى الاسلام : أحمد أمين جـ ١ ص ٢٧٤ •

(٢٢) السابق جـ ١ ص ٢٧٧ •

(٢٣) السابق جـ ١ ص ٢٧٨ •

(٢٤) كالامام ابن الصلاح • والنووى • وابن تيمية • وغيرهم •

ودعاته(٢٥)

فالاسلام الحنيف لا يمنع الاقتباس والانتفاع بما عند الآخرين · ولا يعده سبة أو نقيصة تشين المسلمين · ولا يعده معارضا لروح الابداع والابتكار وحرية الفكر ·

كما أن العقل السليم يقرر أن أى ثقافة تكونت نتيجة تفاعلها بغيرها · وهذا لا يفقدها خصائصها ومقوماتها الذاتية · طالما أن الاقتباس فيما ليس جوهرى لهذه الثقافة ·

ويكمن الخطر الأكبر · ليس فى الامتزاج الثقافى بين الحضارات المختلفة · وانما فى طغيان احدى الثقافات الوافدة الأجنبية على الثقافة الاصلية · وهنا تذوب الثقافة الأصلية أمام طغيان الثقافات الأخرى ·

كما يؤكد الواقع التاريخى أن الثقافة الاسلامية · أو الفكر الاسلامى ظل يمثل الفكر الرائد المبدع · ولم يسمح لأية ثقافة أجنبية أن يكون لها أى تأثير مباشر على معالم الثقافة الاسلامية

ويؤكد كذلك : أن العرب والمسلمين هم أصحاب الفضل على الشرق والغرب · بكل ما عملوا من نقل وابتكار · فلولاهم لدرست معالم اليونان وفلسفتهم · فهم ـ بحق ـ مؤسسوا المدنية الغربية · وهم الجسر الذى عبرت منه الثقافة اليونانية بعد أن اختلطت بأفكار المسلمين وشروحهم · وتعليقاتهم الى

---

(٢٥) الثقافة الاسلامية بين الغزو الاستفزاء · د· عبد المنعم النمر ص ١٣١ ـ ١٣٣ ·

ايطاليا وفرنسا وألمانيا • بعد أن غربت شمسها فى بلاد الأندلس •

وبهذا يتضح جليا أنه العالم الاسلامى ظل متمتعا بحركة ثقافية كبيرة متفاعلة مع الصالح من غيرها • أخذا وعطاء • متميزة بالخصوبة والجدة • والأصالة والابتكار •

كما يتضح أن تيار التغريب فى العالم الاسلامى فى عهوده الأولى كان يهدف الى التفاعل المثمر افادة واستفادة بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات الشرقية والغربية •

ويمضى العالم الاسلامى على هذا النحو المثمر • فترة طويلة من التاريخ الحافل • تنتهى فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى • بغزو التتار لبغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م • اذ دمروا مكتبتها ، وكانت أعظم مكتبة فى العالم • وألقوا بآلاف مخطوطاتها فى نهر دجلة فاسودت مياهه من مدادها • وكانت جسرا يعبر عليه المشاة •

التغريب فى العالم الاسلامى بعد سقوط بغداد :

بعد أن سقطت بغداد فى يد التتار • ضعف العالم الاسلامى وضعفت ثقافته • وفقد تأثيره العلمى والعالمى فى الشرق والغرب • وذلك كله تحت تأثير الغزوات المتلاحقة والهزائم المتكررة للعالم الاسلامى • ابتداء من غزوات الترك السلاجقة عام ١٠٥٥م ثم غارات المغول عام ١٢٥٨م • وسيطرة المستبدين من حكام العثمانيين •

وغير هذا مما هيأ ومهد للاستعمار الحديث بعد ذلك أن

يفرض سلطانه ، ويمد رواقه على العالم العربي الاسلامى ، فجمد الفكر ، واختنقت حرية البحث العلمى ، وأغلق باب الاجتهاد وأطفات حماسة الجهاد ، فكان تدهور العالم الاسلامى ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا ... الخ .

وكان من نتيجة هذا كله : أن بدأ العالم الاسلامي يتطلع الى غيره ، وخاصة العالم الغربى الذى أخذ حضارته وتقدمه من المسلمين فى الأندلس وغيرها ، ثم نمى هذه الحضارة حتى آتت ثمارها ثم صبغها بصبغته التى تتنافى مع الاسلام ومبادئه وعقائده ، يقول كويلرينج(٢٦) ـ اتجهت الحضارة الاسلامية خلال عصورها الأولى الزاهرة الماجدة الى جهة الغرب غازية مصلحة ، حاملة معها الاسلام .

وبعد ألف عام لعبت الحضارة الغربية نفس الدور متجهة الى الشرق](٢٧) .

وحين اتجهت الحضارة الغربية الى الشرق المسلم فى عصور ضعفه ، لم يأخذها المسلمون ، بنفس التحفظ الذى اتخذ الغربيون على أساسه الحضارة الاسلامية سابقا ، فقد أخذوها وصاغوها فى ضوء ثقافتهم وعقائدهم وأخلاقهم ، وردوها الى أصولهم اليونانية أو الاغريقية القديمة الوثنية أو المسيحية .

---

(٢٦) مستشرق أمريكى ، أستاذ العلاقات الأجنبية ورئيس قسم الدراسات الشرقية وأدابها بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الامريكية .

(٢٧) الشرق الأدنى وثقافته : كويلرينج ترجمة د . عبد الرحمن أيوب ص ٢٣١ ط : القاهرة بدون تاريخ .

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة(٢٨)

[اننا – المسلمين – فى الشرق نتقبل المعرفة من غيرنا – الغربيين أو الشرقيين – ثم نتركها عامة ٠ لا تمت بصلة الى تاريخنا ، ولا تتصل بتربيتنا ٠ ان شجرة المعرفة يجب أن تطعم على أساس من ماضينا ٠ فتتصل اتصالا طبيعيا بمناهج ثقافتنا(٢٩) ٠

وقد سلك الغربيون كثيرا من السبل والمسالك ٠ لنقل حياتهم بكل ما فيها من غث وسمين ٠ الى البلاد العربية الاسلامية

سبل التغريب للعالم الاسلامى :

لقد كانت هناك سبل كثيرة ساعدت على نقل الحضارة الغربية الى العالم الاسلامى ٠ عن طريق الجنود ٠ ورجال السياسة والكتب ٠ وغيرها ٠

وفى العصور الأخيرة : البعثات التبشيرية ٠ والسينما ٠ والراديو ٠ والطائرة ٠ وغيرها ٠

واتخذ تيار التغريب طريقه للعالم الاسلامى ٠ من أربعة طرق رئيسية أساسية هى :

١ – القسطنطينية ٢ – البصرة والخليج العربى

٣ – لبنان ٤ – مصر ٠

---

(٢٨) أستاذ الأدب والتاريخ بجامعة الاسكندرية ولد فى١١/٧/١٨٩٨ وتوفى ١٦/١/١٩٥٠ ٠

(٢٩) أصالة الفكر العربى الاسلامى فى مواجهة الغزو الثقافى أنور الجندى ص ٤١ ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ،

أولا : القسطنطينية :

فتح المسلمون القسطنطينية سنة ١٤٥٣م بقيادة محمد الفاتح . أو محمد الثانى . وقتل الامبراطور لويس التاسع ، فى معركة الفتح ، ثم اتجه الى كنيسة ـ أيا صوفيا ـ الشهيرة فدخلها وحولها الى مسجد . وبفتح القسطنطينية تلاشت البقية الباقية من بيزنطة . وأصبحت عاصمة للدولة العثمانية الاسلامية(٣٠) .

ثم لأمرها بدأ سلاطين العثمانيين ينشغلون ـ الى حد ما ـ بالدنيا ولهوها . وأعجبوا بنابليون قائد الجيوش الفرنسية . وأرادوا تقليده فى اصلاح الجيش . والادارة . ونظم التعليم . فى جميع أنحاء الامبراطورية .

وفتحت الكليات الحربية ، واتخذ الخلفاء بلاطا كبلاط ملوك أوربا . وأعادوا تنظيم الجيش . وكان حظ البلادالعربية والاسلامية . من المدارس الحديثة التى نقلت عن النظام الأوربى وفيرا(٣١) .

ولكن هذه الاصلاحات لم تقم على أساس من حاجة الشعب . أو ادراكه . ومن ثم لم يقدر لها بقاء طويل . كما لم يكن لها أى أمر ملحوظ فى الحياة العربية والاسلامية .

---

(٣٠) موسوعة التاريخ الاسلامى د . احمد شلبى ح ٥ ص ٨٢٥ .
(٣١) الشرق الادني : كويلرينج ص ٢٣١ .

ثانيا : مدينة البصرة والخليج العربى :

كانت هذه المنطقة سوقا تجارية أوربية رائجة · حيث كان للتجار البريطانيين خاصة والغربيين عامة · مصالح تجارية هامة · بعد أن استطاع الملحق التجارى - الذى كان يمثل بعض شركات السكك الحديدية ، والملاحة والتلغراف - أن يحصل من الحكومة على امتيازات بحرية(٣٢) ·

وجاء هؤلاء الغربيون معهم بكثير من العادات والأفكار الغربية · استطاعوا أن ينشروها بشتى السبل والوسائل بين المسلمين ·

ثالثا : لبنان :

تعتبر لبنان من أهم السبل التى عبر تيار التغريب للعالم الاسلامى خلالها ·

حيث أسست البعثات التبشيرية عددا كبيرا من المدارس وفتحت المستشفيات · والمؤسسات الخيرية ·

ولقد ساعدت المدارس التبشيرية على تعريف الشباب الاسلامى بالثقافة الغربية من جميع نواحيها المادية والمعنوية النظرية والتطبيقية ·

ففيها يتلقون العلم التجريبى · والأدب · والسياسة · والفلسفة · والقيم الدينية والأخلاقية التى لبلاد الغرب ·

وأهم من كل ذلك : عرفت هذه المدارس الشباب المسلم

---

(٣٢) السابق ص ٢٣١ :

بماضيها وتاريخها(٣٣) ـ دون أن يعرفوا شيئا عن ماضيهم وتاريخهم الاسلامى ـ وكان لذلك أثره الكبير . فى هذا الشباب العربى المسلم .

رابعا : مصر :

كانت مصر فى مقدمة البلاد الاسلامية التى اتسع فيها مجال التغريب والتأثير بالثقافة الغربية ، وذلك منذ عهد محمد على ، وجلاء الفرنسيين عنها .

فقد بذرت الحملة الفرنسية ـ بعد أن مكثت فى مصر مدة قصيرة من حيث الزمن(٣٣) طويلة من حيث التأثير والنفوذ ـ بذورا عميقة فى التربة المصرية ، والعقلية الاسلامية . واحتك الشرق بالغرب فى أرض مصر احتكاكا مباشرا . ووصل بين الشرق والغرب بعثات علمية وثقافية . عنى بارسالها محمد على للاستفادة من الغرب ونظمه وعلومه . وللتقدم بمصر فى مضمار العلم والصناعة والفنون والادارة . حملت الى مصر ثمرات الثقافة الغربية . ثم أنشأت ترعة السويس . فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٩م تصل بين البحر الأحمر . والبحر الأبيض المتوسط . فحدث انقلاب فى تاريخ السياسة . والتجارة العالمية . ورفعت الفجوة بين العالمين : الشرقى والغربى . وسهلت مهمة اللقاء والالتقاء . وكان هدف اسماعيل الأكبر . أن يجعل مصر قطعة من أوربا(٣٤) .

---

(٣٣) وهى مدة ثلاث سنين وشهرين من ١٧٩٨/٧/٢٤ م ـ سبتمبر ١٨٠١ م

(٣٤) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : أبو الحسن الندوى ص ٩١ ؛

ومن النظرة الشاملة لهذا كله · نستطيع القول : ان المدة التى حكمها اسماعيل ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩م كانت من أخطر المراحل فى تدمير الشخصية الاسلامية واذابتها ، وهدم شريعة الاسلام هدما غير مسبوق فى تاريخ مصر العربية الاسلامية ·

كما نستطيع القول : ان الوضع السياسى القائم · الذى كانت تعيش فيه مصر فى القرن ١٩م ، ويشاركها فيه العالم الاسلامى بصفة عامة ـ عصر النفوذ الأجنبى · والاحتلال المباشر أو غير المباشر ـ قد شغل هذا الوضع غير الطبيعى · تفكير القادة والساسة · فى العالم الاسلامى ـ ومنه مصر ـ واستنفذ جهودهم · ومواهبهم · ولم يدع لهم مجالا فى التفكير ولا سعة فى الوقت · ولا فضلا فى الذكاء(٣٥) ·

فبدأ صفوة الأذكياء · وخيرة الشباب المصرى المسلم · يدرسون العلوم العصرية فى مصر · ثم يؤمون عواصم الغرب · ومراكز الثقافة العصرية الكبرى فى أوربا للتوسع فى الدراسات والتعمق فيها ·

فكان من المتوقع بل من الضرورى جدا · أن يوجد فى هؤلاء الشباب الشرقيين الذين نشأوا فى مصر بالبلد الاسلامى ـ رجال يروعهم ضعف أساس الحضارة الغربية · واسرافها فى المادية · وتطرفها فى القومية · والنظر المادى القاصر المحدود الى الانسان المكون من الحس والمعنى أو المادة والروح والعقل والوجدان والعاطفة ·

---

(٣٥) السابق ص ٩٢ ·

ويثير هذا كله فى هؤلاء الشباب روح النخوة الاسلامية ، والمعانى الانسانية الكريمة العميقة .

ويثير فيهم روح الاستنكار والتمرد على مثل الحضارة الزائفة . ويكون فيهم مفكر حر مثل : محمد اقبال، والمودودى مع أن هذا الشباب المصرى المسلم كان أولى بذلك من هذين .

فقد نشأ الاثنان فى بيئة بعيدة عن مهد الاسلام ، ومركز الثقافة الاسلامية وجرى فى عروقهما دم غير عربى ، وغير اسلامى(٣٦) ولكن هذا الأمل لم يتحقق الا فى نادر الأحوال . ورجع أكثر هؤلاء الشباب المسلمين ، طليعة الفكر الغربى ، دعاة متحمسين الى تقليد الحضارة الغربية ، وقيمها ، ومفاهيمها ، وتصوراتها .

ان اللورد كرومر ، الذى كان أكبر رائد لتغريب مصر ، والعالم العربى الاسلامى بالتبع قد صور بنفسه الجيل المصرى الجديد الذى نشأ فى أحضان التعليم الجديد وآمن بسيادة الغرب وفضل حضارته ومبادئه ، تصويرا صادقا دقيقا فيقول :

(ان المجتمع المصرى فى مرحلة الانتقال والتطور السريع

---

(٣٦) أشار محمد اقبال الى أصله الهندى البرهمى كثيرا ، فيقول : فى بيت يعاتب فيه شابا ينتمى الى أهل البيت قد تأثر بالفلسفة تأثرا عميقا ومال الى الالحاد ـ انت تنتمى الى سيد بنى هاشم فى نسلى . أما أنا المؤمن بالاسلام وبمحمد ايمانا لا يعتريه شك ، فان طينتى هندية وأنا أنتمى فى نسبى الى سومنات معبد الوثنيين القديم ، وكان آبائى من عباد اللات ومناة ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة العربية ، الندوى ص ٩٨ .

كانت نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم - مسلمون - ولكنهم متجردون عن العقيدة الاسلامية والخصائص الاسلامية لا يحملون القوة المعنوية والثقة بأنفسهم .

والمصرى الذى خضع للتأثير الغربى . وان كان يحمل الاسم الاسلامى . لكنه فى الحقيقة ملحد وارتيابى . والفجوة بينه وبين عالم أزهرى لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهرى وبين أوربى](٣٧) .

ويتقدم اللورد كرومر . تقدم الواثق من نجاح خطته وعمله . فيقول عن مدى نجاح خطته التغريبية : [ان المصرى المتحرر يسبق الأوربى المتحرر . فى التنور . وحرية الفكر . والخبرة . انه يجد نفسه فى بحر هائج لا يجد فيه سكانا ولا ربانا . لسفينته . فلا ماضيه يضبطه . ولا حاضره يفرض عليه الحواجز الخلقية . انه - المصرى المتحرر - يشاهد أن الجمهور من مواطنيه يعتقدون : أن الدين الاسلامى . يعارض الاصلاحات التى يراها جديرة كل الجدارة بالنفاذ . ان ذلك يثير فيه السخط والكراهة الشديدة للدين الذى يؤدى الى مثل هذه النتيجة . فيدوسه بقدمه . وينبذه بالعراء .

ان المجتمع الذى يتكون من مثل هؤلاء الأفراد المتحررين فى مصر لا ينكر على الكذب والخديعة انكارا شديدا . ولايمنعه من ارتكاب الرذائل . خوف سوء الأحدوثة فى المجتمع . انه إذا رفض دين آبائه . فانه لا يلقى عليه نظرة عابرة . انه

---

(٣٧) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٩٨ .

لا يرفضه فحسب بل يرفضه ويركله برجله . انه يترامى فى أحضان الحضارة الغربية](٣٨) .

هــذا هو تصــوير اللورد كرومر زعيم التغريب فى العالم الاسلامى لحقيقة عمله وأثره فى الشباب المصرى المسلم . الذى تربى على منهج الحضــارة الغربية . وارتوى بروائهــا . حتى أينع وأثمر . بعدا عن الاســلام . وتبرءا من تعاليمــه وقيمه وأخلاقه . لكل ما عليه الآباء والأجداد من قيم وعادات وتقاليد اسلامية . بل ركلا لكل ذلك بالأرجل والأقدام . وحبا وهياما لكل ما يدور فى الغرب .

حتى رجع كثير من هؤلاء الشباب مشبعين بروح الغرب . يتنفسون برئة الغرب . ويفكرون بعقله . ويفهمون بقلبه . ويرددون فى بلدهم صدى أساتذتهم المستشرقين . وينشرون آراءهم وأفكارهم ونظــرياتهم فى ايمــان عميق . وحماسة زائدة . فلا يكاد القارىء يقرأ بحثــا أو نظرية لمســتشرق فى الغرب . الا ويجد أديبا أو مؤلفا فى مصر يتبنى هذا البحث أو تلك النظــرية . بكل اخلاص . ويحترمهــا بكل تقــدير . ويدعو اليها بكل السبل والوسائل . وذلك مثل :

بشرية القرآن . وفصل الدين عن السياسة ، وأن الاسلام دين لا دولة . أو الدعوة الى العلمــانية ، والشك فى مصــادر العربية الأولى . والشك فى القيمة العلمية للسنة الشريفة . وانكــار مكانتهــا فى الاســلام . والدعوة الى تحــرير المرأة .

---

(٣٨) السابق ص ٩٩ .

ومساواتها بالرجل . والدعوة الى السفور . وكون الفقه الاسلامي مقتبسا من القانون الروماني . ومتأثرا به فى روحه ومنهجه . والدعوة الى احياء الحضارات القديمة السابقة على الاسلام . والدعوة الى العامية . والتأليف فيها واقتباس الحروف والكلمات اللاتينية . والتقنين على أساس القانون الغربى . والأخذ بكل الحياة الغربية خيرها وشرها حلوها ومرها . مايحمد منها وما يذم .

حتى يرى كل ذى بصر وبصيرة . ظلال الفكر والحياة الغربية وارفة ممدودة على الحياة العربية الاسلامية - عبر هؤلاء المتأثرين بالغرب - مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة منعكسة فيها انعكاس الشمس فى المرآة الوضيئة .

وقد شهد بتغلغل الحضارة الغربية فى المجتمعات الاسلامية عن طريق هذا الشباب المولع بتقليد الغرب فى كل شىء . هاملتون جب اذ يقول :

[واذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربى . ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام . كان علينا أن ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية .. علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة . والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية . بعد أن تهضم وتصبح جزءا من كيان الدولة الاسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها](٣٩) .

---

(٣٩) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ج ٢ ص ٢٠٧ .

وكان هؤلاء الأدباء والكتاب ، قد أسدوا معروفا كبيرا ، وأحسنوا الى مجتمعاتهم وبلادهم ولغتهم ، لو نقلوا الكتب من اللغات الغربية المؤلفة فى أغراض العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية ، التى لا تزال المكتبة العربية والاسلامية فقيرة فيها

كما فعل الأدباء اليابانيون ، فحولوا اليابان الى بلاد صناعية تضارع أعظم الدول والأقطار الأوربية فى العلوم الطبيعية والصناعية ، ولكن للأسف الشديد انصرفت عناية هذا الشباب وهوايته الى ترجمة كتب الآداب ، وعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والروايات القصصية للمسرح والسينما ، وترجمة كتب الكثيرين من دعاة الالحاد والاباحية فى المجتمع الغربى التى ساعدت فى البلبلة الفكرية والاضطراب الاجتماعى واضعاف شخصية الثقافة الاسلامية وقد وجد لهذا الاتجاه كثير من الكتاب والأدباء والمفكرين فى البلاد العربية والاسلامية واتخذ لنشر آرائهم وأهدافهم التغريبية كثير من السبل والوسائل المؤثرة ،

اتخذ رواد التغريب كثيرا من الوسائل التى استطاعوا بها التأثير فى الشرق الاسلامى ، حتى نسى نفسه ، وفقد شخصيته وجهل قدره ، وأصبح محتاجا الى الغرب فى كل صغيرة وكبيرة من شئونه الخاصة والعامة ،

وقد كان من عادة الغرب مع الشرق الاسلامى أن يحمل من مظاهر حضارته وثقافته لينشرها بين المسلمين من أجل تعريفهم بها ، [والوسائل والأساليب التى يتخذها الغرب فى معركة

الثقافة أساليب ووسائل لا تعد ولا تحصى ٠ لأنها تتغير وتتبدل وتتجدد على اختلاف الميادين](٤٠) ٠

وكان نصيب مصر من ذلك كبيرا ٠ باعتبار قيادتها المعنوية للمسلمين وارتباطها بالأمم الاسلامية بعلاقات طيبة ٠ وانتشار مطبوعاتها بين مسلمى العالم كله وامتداد تأثيرها الفكرى بينهم ٠ فوق أنها مركز التفاهم بين المسلمين والتعرف على أحوالهم فى مختلف أقطار العالم الاسلامى(٤١) ٠

ومن هنا فقد أدرك الغزاة من أول الأمر خطورة دور مصر وثقافتها الاسلامية فى هذه المنطقة ٠ وقدرتها العارمة على تبديد موجات الغزو المسلح ٠ كما حدث فى معارك التتار والصليبيين من قبل ٠ ولذلك ركزوا عليها فى الجولة الجديدة ٠ وهى جولة التغريب الفكرى والثقافى فأعادوا النظر فى خططهم وعادوا يتقنون التصويب والتسديد الى مصدر الخطر ٠ ومبعث القوة فى المصريين والمسلمين عموما ٠ وهو هذا الدين الاسلامى العظيم ٠

وهكذا كانت تتوالى غزوات الغرب الفكرية والثقافية ٠ ومازالت تتوالى وتتنوع وتختلف أصداؤها وآثارها فى حياة المسلمين وفكرهم ٠

ومن أهم الوسائل التى استطاع بها الغرب التأثير فى الشرق الاسلامى ما يلى :

---

(٤٠) الظاهرة القرآنية ٠ مالك بن نبى ترجمة د٠ عبد الصبور شاهين ص ٣٠ ٠

(٤١) نحن والحضارة الغربية : أبو الأعلى المودودى ص ١٠٣ ٠

١ - البعثات الى الدول الغربية .

٢ - المدارس الأجنبية فى بلاد المسلمين .

٣ - المدارس الحديثة .

٤ - دور النشر المتعددة .

٥ - وسائل الأعلام المختلفة .

٦ - سهولة المواصلات بين جميع أنحاء العالم .

أولا : البعثات الى الدول الغربية :

بدأ هذا النشاط منذ عهد محمد على فى سنة ١٨٢٦م عندما أغراه المستشرقون بارسال بعثة كبيرة من شباب مصر الى فرنسا فى يولية ١٨٢٦م .

وكان فى مقدمة المبعوثين الذين أرسوا قواعد التغريب للعالم الاسلامى فى العصر الحديث : رفاعة الطهطاوى . وطه حسين .

(أ) رفاعة رافع الطهطاوى :

ولد فى مدينة طهطا بصعيد مصر سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م وأتم حفظ القرآن الكريم وشيئا من متون العلم المتداولة على بعض العلماء فى بلده . ثم رحل الى القاهرة وانتظم فى الأزهر الشريف . وفى سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م عين واعظا فى جيش محمد على ثم أرسل الى فرنسا فى بعثة علمية سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م فيها أربعة وأربعون تلميذا ليدرسوا فى المدارس الفرنسية : اللغة والعلوم والفنون والآداب . وكانت مهمته فى هذه البعثة: مراقبة أفرادها . وامامتهم فى الصلوات الخمس .

ولم يكد يصل الى فرنسا حتى أخذ المسيو جومار(٤٢) بناحيته ٠ وأسلمه لطائفة من المستشرقين يصاحبونه ويوجهونه وعلى راسهم أحد كبار المستشرقين وهو المستشرق البارون سلفستردى ساسى(٤٣) ٠

ولم يكن لدى هذا الفتى الأزهرى الصعيدى المفتون مخلص من أحابيلهم ودهائهم ٠ ومكرهم ورقة حاشيتهم ومداهنتهم ٠ فاستغلوه أبرع الاستغلال ٠ وصبوا فى أذنيه ٠ وطرحوا فى قرارة قلبه معانى وأفكارا قد بيتوها ٠ ودرسوها ٠ وعرفوا عواقبها ٠ وثمراتها ٠ حين تنمو فى دخيلة نفسه ٠ وهم يزيدونه فتنة باشهاده روائع المحافل التى تتألق أنوارها ٠ وتتألق تحت أنوارها أيضا مفاتن النساء الكاسيات العاريات ٠ والرجال ذوى الأبهة يختالون فى شمائل الرقة الفرنسية ٠ فزادوه فتنة ٠ وزادوا غفلته غفلة ٠ وانتزعوه انتزاعا مما كان يعيش فيه من ظلمات الصعيد وبؤسه وفقره ٠ حتى نسى نفسه التى صاحبها خمسا وعشرين سنة ٠ وتنكر لماضيه القريب

---

(٤٢) مهندس بارع له منزلة كبيرة عند نابليون ٠ وعضو المجمع العلمى الفرنسى شديد الاهتمام بكل ما يخص مصر وجد فى الفترة بين عامى ١٧٧٧ - ١٨٦٢م ٠

(٤٣) مستشرق فرنسى ١٧٥٨ - ١٨٣٨م ولد فى باريس وتثقف بالأدبين اللاتينى واليونانى ٠ ودرس الآداب واللغة العربية والعبرية والفارسية والتركية والأسبانية والألمانية والايطالية والانجليزية وفى سنة ١٧٧٨م عينه ملك فرنسا واحدا من ثمانية أعضاء فى جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية فى مكتبة باريس الوطنية - المستشرقون جـ١ ص١٦٢

وأعرض عنه ، وسارع ينجو بحياته الجديدة من خطاطيفه التى تلاحقــه(٤٤) .

وأخذ يحث ديار الاســلام على البحث عن العلوم والفنون والصنائع . بأن كمال ذلك . ببلاد الافرنج . أمر ثابت شائع والحق أن يتبع .

ويحلف بالله قائلا : ولعمــر الله اننى مدة اقامتى بهــذه البلاد فى حسرة على تمتعهــا بذلك . وخلو ممــالك الاسلام منــه(٤٥) .

فالرجل يؤمن بتفوق الغرب . ويدرك أسباب تفوقه . ويحث بنى وطنه على تلمسه . والسعى اليه . وعلى أهل العلم حث جميع الناس على الاشتغال بعلومه وقضى رفاعة الطهطاوى ستة ســنوات فى باريس من ســنة ١٢٤١هـ ــ ١٨٢٦م حتى سنة ١٢٤٦هـ ــ ١٨٣١م . قضى ثلاث سنوات منها فى تعليم اللغة الفرنسية . كما قال هو بلسانه ــ وفى الثلاث الأخرى درس التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسية . وقرأ بعض الكتب فى المعادن . وفن العسكرية والرياضيات(٤٦) .

الا أن هذا ليس هو كل ما أفاده الطهطاوى من اقامته فى باريس . لأنه بعد انقضاء الســنة الاولى من اقامته التى تكاد

---

(٤٤) تلخيص الابريز فى تلخيص باريز جـ ١ ص ٢٢ ورســالة فى الطريق الى ثقافتنا ص ٢١٥ ــ ٢١٦ .

(٤٥) تلخيص الابريز ص ٢٥٩ وتاريخ التعليم فى عهد محمد على أحمد عزت عبد الكريم ص ٤٣٥ .

(٤٦) تلخيص الابريز ص ٢٦ ورسالة فى الطريق الى ثقافتنا ص ٢١٦

تكون مقتصرة على التعليم من الكتب والأساتذة • فانه بدءا من السنة الثانية • يضيف الى الكتب والأساتذة مصادر جديدة لا تقل عنها أهمية • وهى الحياة الفرنسية بكل زخرفها • وبجميع ميادينها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها • وقد ظهر هذا كله بكل وضوح فى باكورة كتبه وهو: - تخليص الابريز فى تلخيص باريز - الذى يلخص فيه الثقافة الغربية • ويقدمها فى صورة زاهية تشير الى مدى تأثره بالغرب •

ثم رجع رفاعة الطهطاوى مع البعثة المنسوبة الى الاسلام المحسوبة ضمن المسلمين • فخرجوا عن تعاليم الاسلام باسم الحرية الفكرية • وأنهم رواد الاصلاح والتجديد • وما هم فى الواقع الا ببغاوات يرددون كلمات ومبادىء وافدة من الغرب •

[وكل وافد من الغرب - الا من رحم ربى وعصم - أراد أن يتعلم مشيئة الطاووس • فنسى مشيته • ولم يحسن مشية الطاووس](٤٧) •

وبناء عليه وصف بعض الباحثين رفاعة الطهطاوى - الأزهرى الأصل ، وامام مبعوثى محمد على الى فرنسا • ثم امام التحديث والتغريب فى مصر الحديثة فيما بعد - بالعلمانية والتغريب • وأن هذا كان صفة تميز مقاصده [فهذا الرجل العلمانى المقصد • كان موظفا كبيرا عايش محمد على وابنه ابراهيم وعباس وسعيد واسماعيل • ورضى عنه معظمهم • وانعموا عليه بالرتب والتشريفات وألحقوها باقطاعات هامة •

---

(٤٧) الدعوة الى الاسلام عبد الكريم الخطيب ص ٢١ •

حتى ترك لورثته عند وفاته ما يزيد على الألف وستمائة فدان](٤٨) ٠

ومن هنا لا يمكن لرفاعة أن يقف مواقف لا يرضى عنها الحكام ٠ المبهورون بالتقاليد الغربية ٠ ويريدون تطبيقها حرفيا فى بلاد الاسلام ٠

ولقد تمت على يدى رفاعة الطهطاوى أخطر عملية ٠ أزاحت الاسلام عن ميدان الحكم فى مصر الاسلامية ٠ وذلك عندما أخرج قلم الترجمة برياسته ترجمة القانون الفرنسى المدنى والجنائى الى اللغة العربية سنة ١٨٦٣م والتى ألغى الخديوى اسماعيل على أثرها المحاكم الشرعية فى البلاد ٠ وأبدلها بهذه القوانين الوضعية(٤٩) التى استطاعت أن تغرس التغريب لكل مجالات الحياة المصرية الاسلامية ٠

ولا غرابة بعد هذا ٠ فيما يذهب اليه كل أنصار التغريب فى العالم الاسلامى من أن رفاعة الطهطاوى كان رائد الفكر الحديث فى مصر ٠ فخورين بريادته ٠ مشيدين بأعماله وانجازاته التى كانت بمثابة نذير خطر تعانى منه بلاد الاسلام شتى ألوان الذلة والهوان ٠

---

(٤٨) العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة د٠ عزت قرنى ص ١٠٣ سلسلة عالم المعرفة : الكويت ١٩٨٠ ٠

(٤٩) الغزو الفكرى : د٠ عبد الستار فتح الله سعيد ص١١٩ ٠

(ب) طـه حسـين :

وهو من أشهر رواد التغريب في بلاد الاسلام ·

وقد ولد في قرية الكيلو مركز مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر في ١٤/١١/١٨٨٩م وحفظ القرآن في كتاب القرية · وكف بصره في الخامسة من عمره · ثم قصد الى القاهرة فدخل الأزهر الشريف سـنة ١٩٠٢م · وبقي به حتى سنة ١٩٠٨م وعندما بدأ يدرس في الجامع الأزهر · كان موزعا في دراسته بين الحلقات يختار منها ويعرض · ولا يسـتقر في أيها · الا حلقة الأدب والشـعر · ولذلك فقد كانت ثقـافته في العلوم الاسلامية قاصرة · بحيث لا يتمكن من تكوين فكرة كاملة عن الاسـلام ·

وسرعان ما ضاق صدره بالأساتذة في الازهر لأنه لم يصبر على فهم دقائق المسائل · وظل الخلاف يتسع بينه وبين مشايخه حتى أغلق الباب بينه وبينهم واحدا واحدا ·

حتى ساء ظنه بالأزهر ومشايخه الذين أعرضوا عنه بسوء بادرته وجفوته لهم ·

وفي هذه الظروف بدأ يتطلع الى الجامعة المصرية في أول انشـائها · وكانت تضم عددا من المسـتشرقين الفرنسـيين والايطـاليين ؛ القـائمين على أمرها · فوجدوا في طه حسـين شابا طموحا ناقما على الأزهر وشيوخه فعملوا على اشباع نفسه بالآمال في بيئة الغرب ·

وقد تأثر طه حسين بالمستشرقين في الغض من شأن الأزهر

والأزهريين • واحراج العلماء بالأسئلة المضللة • والرد عليهم فى عنف وفى سخرية وأشار طه حسين الى تأثره بالمستشرقين بقوله :

[تأثرى بالمستشرقين شديد جدا • ولكن لا بآرائهم • بل بمناهجهم فى البحث](٥٠) •

وبقى طه حسين فى الجامعة المصرية من عام ١٩٠٨م حتى عام ١٩١٤م • حين تقدم برسالته عن ذكرى أبى العلاء المعرى• وكانت أول رسائل الدكتوراة فى الجامعة المصرية(٥١) •

ثم سافر الى أوربا حيث التحق بجامعة مون بيليه • فدرس الأدب الفرنسى واللغات الفرنسية ، واليونانية واللاتينية • ثم عاد الى مصر فأقام بهافترة• ثم عاد الى جامعات باريس• حيث جاز امتحان الليسانس سنة ١٩١٦م • وأحرز الدكتوراة ـ عن ابن خلدون ـ عام ١٩١٧م ثم عاد الى القاهرة سنة ١٩١٩م حيث تولى تدريس مادة التاريخ القديم • اليونانى والرومانى • والأدب العربى • وأصدر كتابه فى الشعر الجاهلى سنة ١٩٢٦م(٥٢) •

وكانت كتاباته كلها فى هذه الفترة مثار خلاف فى الرأى بينه وبين العلماء والأدباء • لأنه كان حريصا على تبنى الرأى المثير • حتى يكون حديث الدوائر الأدبية •

---

(٥٠) طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام أنور الجندي ص ٢١
(٥١) السابق ص ٢٢ •
(٥٢) السابق ص ٢٢ •

فلقد آثارت رسالته – ذكرى أبى العلاء – ضجة دفعت عبد الفتاح الجمل أحد أعضاء الجمعية الشرعية • الى أن يقدم مذكرة للمسئولين المخلصين فى مصر يطالب فيها بحرمان طه حسين من حقوق الجامعيين • لأن كتابه فيه بعض الأخطاء والمفاهيم المضطربة التى تميل الى الالحاد •

كما آثارت رسالته عن ابن خلدون كثيرا من الشبهات •

لأن طه حسين حضر هذه الرسالة تحت اشراف – أميل دوركايم – الفيلسوف الاجتماعى اليهودى الذى كان يغض من قدر ابن خلدون • فسار طه حسين على طريقته فى البحث ارضاء له •

كما حضر دروس كازانوفا فى تفسير القرآن فى الكوليج ديفرانس المعهد الذى شكل فيه الفرنسيون أتباعهم دعاة الفكر الفرنسى من العرب المسلمين(٥٣) •

نتائج رحلة طه حسين الى الغرب :

لقد أنتجت رحلة طه حسين الى أوربا نتائج وآثارا متعددة من أهمها :

أولا : الاتصال ببيئات الاستشراق • ورواد التغريب • وتبنى مفاهيمهم ومعطياتهم • وقد بلغ طه حسين فى هذا الاتصال بالبيئات الغربية مبلغا كبيرا جعل بعض الناس يظن

---

(٥٣) السابق ص ٣٤ :

أنه واحد من المستشرقين • فكان يقول عن نفسه : [انه يرث عقلا يونانيا عن أجداده القدامى](٥٤) •

وما كان يشير دائما بشيء من السخرية الى ما كان يقال: من أنه سفير فرنسا في مصر • أو سفير الثقافة اللاتينية ـ اليونانية الوثنية • والفرنسـية العلمانية فى البلاد العربية الاسـلامية • بل كان يشـير الى ذلك كله بشيء من الرضـا والقبول(٥٥) •

ثانيا : الاعجاب بفرنسا والولاء لها • وهو اعجاب وولاء كان يصل به الى أن يرجح كفتها على حقوق أمتنا • ويقف مع فرنسا مدافعا • بينما تضرب بقنابلها دمشق • ويهاجم المجاهدين فى المغرب ويصفهم بالبداوة •

ثالثا التأثر الشديد بثقافة الثورة الفرنسـية ومطامعها • ودور فولتير(٥٦) وغيره فى اثارتها • وبما ألقى فى نفسه من أن يكون شبيها بواحد من هؤلاء فى الفكر والثقافة الاسلامية العربية • هدما للقيم التى كانت سـائدة ومحاربة للعقـائد • ودفعا للثقافة الى أسلوب الفكر الحر(٥٧) •

---

(٥٤) السابق ص ٣٠ •

(٥٥) السابق ص ٣٠ •

(٥٦) هو فرانسوا فولتير ١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م فيلسوف ومفكر فرنسى نشأ فى باريس وتعلم فى كلية لويس الأكبر اليسوعية • دعا الى الاصلاح وكان حر الفكر • جمعت آثاره في سبعين مجلدا • ونشرت بعد وفاته •

(٥٧) السابق ص ٣٣ •

والمعروف أن الثورة الفرنسية هى من صنيع اليهودية العالمية للخروج من خضوع اليهود للكنيسة وقوانينها التى كانت تحصرهم في الجيتو(٥٨) وتحول بينهم وبين الاشتراك فى الحياة الاجتماعية والسياسية(٥٩) ٠

رابعا : الاعلاء والتقدير لتاريخ الرومان ٠ وأدب اليونان، والفلسفة الهلينية(٦٠) على نحو أقنعه بأن هذا التراث هو مصدر الفكر البشرى كله ٠ وأن الفكر الاسلامى تأثر به وتشكل منه(٦١) وهذا ترديد لما كان يقوله أشد كتاب الغرب تعصبا ضد العرب والمسلمين أمثال : رينان(٦٢) ٠

خامسا : الاهتمام بدراسة مناهج رواد الفكر الغربى أمثال رينان وفولتير ٠ باعتبار أنهما من أعمدة الفكر الحر المعارض للمسيحية فى الغرب ٠ وقد كشف طه حسين عن صلته بهؤلاء

---

(٥٨) مكان اقامة اليهود دون غيرهم ٠ لكتمان مبادئهم وخططهم عن غيرهم ٠

(٥٩) السابق ص ٣٣ ٠

(٦٠) الفلسفة الهلينية هى التى كانت سائدة قبل عصر الاسكندر الأكبر ٠ أما بعد عصره الهلنسية لأنها اختلطت بعناصر أجنبية لم تكن من قبل ــ حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى : جلال مظهر ص ١٨ ٠

(٦١) طه حسين حياته وفكره فى ضوء الاسلام ص ٣٣ ٠

(٦٢) آرنسيت رينان ١٨٢٣ ــ ١٨٩٢م فيلسوف فرنسى اشتهر بعصبيته ضد العروبة والاسلام أخذ بمذهب حرية الفكر والبحث وتقسيم الجنس البشرى الى جنس سامى محدود القدرات العقلية ٠ وآرى متفوق فيهما ٠

وأمثالهم واعجابهم به • فى فترة متأخرة بعد أن اتصل بالوفد سنة ١٩٣٥م وأصبح آمنا من معارضة المعارضين(٦٣) •

سادسا : ترجمة واذاعة الأدب الاباحى المسف فى أسلوبه• واذاعة القصة الفرنسية المكشوفة [وقد حفلت كتاباته فى جريدة السياسة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣م • ومن بعدها مجلة الجديد وغيره بهذه الترجمات](٦٤) التى كانت مثار تعليق كثير من المثقفين •

بالاضافة الى : البحث فى الشعر العربى القديم المهتم بالاباحية والمجون • والاهتمام بشعرائه أمثال بشار بن برد • وأبى نواس وغيرهم •

ودعوته الى تحرير الشعر من قيد الأخلاق والقيم • تحت اسم الفن للفن •

سابعا : دعوته المستمرة الى احياء الكتب القديمة التى كتبها الملاحدة والاباحيون •

فقد كان عونا في اصدار رسائل اخوان الصفا(٦٥) وهي

(٦٣) طه حسين حياته وفكره ص ٣٤ •

(٦٤) السابق ص ٣٤ •

(٦٥) هم جماعة ربطت بينهم الصداقة • تألفت فى البصرة خلال القرن ١٠م ووضعت لنفسها منهجا ارادت به ان تطهر الشريعة بواسطة الفلسفة من الجهالات التى علقت بها ، معتقدة أن الكمال يتألف من امتزاج الفلسفة اليونانية بالشريعة الاسلامية ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٤٧ •

نحلة هدامة ، وكذلك أولى كتاب الأغانى اهتماما بالغا . ودفع اليه الباحثون من تلاميذه . لاتخاذه مرجعا . مع أنه فى تقدير جميع الباحثين المنصفين لا يصلح لذلك .

وكذلك أعان على طبع كتب تعلى من شأن الفكر اليونانى ومحاولة القول : انه كان بعيد الأثر فى الأدب العربى(٦٦) .

ويظهر طه حسين فى كل أعماله أنه خاضع للاستشراق ورواد التغريب للعالم الاسلامى . متأثرا بهم . تابعا لهم ، معليا من قدرهم . متحدثا عن فضلهم . على الأدب العربى . والثقافة الاسلامية .

فكتابه : فى الشعر الجاهلى ـ أخذ فكرته من مرجليوث .

وكتابه ـ مع المتنبى ـ أخذ فكرته من بلاشير .

مذهبه فى النقد . أخذه من تسين . وبرودنير .

بحثه عن ابن خلدون أخذه من دوركايم .

اتجاهه فى حديث الأربعاء أخذه من سانت بيف .

عمله فى هامش السيرة أخذه من كتاب على هامش الكتب القديمة لمجموعة من المستشرقين .

كما أخذ من نيللينو مصادر التاريخ الأدبى . ومن برجستر آثر التطوير النحوى . ومن جويدى: علم اللغة الجنوبية القديمة ومن ليتمان : فقه اللغة(٦٧) .

---

(٦٦) السابق ص ٣٤ .

(٦٧) السابق ص ٣٤ .

وقد بدى اعجاب طه حسين وانغماسه في هذا التيار • منذ أن ألتحق بالجامعة المصرية القديمة وكانت يومها قبلة للعديد من المستشرقين ثم كانت بعثته الى فرنسا امتداد لذلك • مع تعمق فى محاولة اثارة الشبهات • ومخالفة اجماع الأمة فى كثير من الأمور •

جهود طه حسين فى التغريب :

كان لطه حسين جهود ملموسة فى نشر الفكر والثقافة الغربية • بين جمهور المسلمين فى مصر وغيرها من البلاد الاسلامية •

وقد تنفس عن جهوده التغريبية فى كتاب يشتمل على كل الأفكار والمبادىء الغربية التى يريد بها تغريب مصر • ومن بعدها كل البلاد الاسلامية • وهذا الكتاب سماه ـ مستقبل الثقافة فى مصر ـ وألفه سنة ١٩٣٧م بعد معاهدة الغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر سنة ١٩٣٦م •

وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى • ومعارك متعددة فى جميع الأوساط الثقافية والشعبية فى مصر وغيرها • لأنه كان بمثابة مخطط الاستعمار الذى يجب أن يطبق فى مصر رائدة العالم الاسلامى وهذا الكتاب لطه حسين أشد خطورة مما كتبه غيره من دعاة التغريب فى العصر الحديث ؛

لأن طه حسين رجل مسلم • ودرس الاسلام ومبادئه خلال دراسته الأزهرية • ومع ذلك أراد أن يحقق أهداف الاستعمار والتبشير في مصر بأسلوب مموه يتقبله الشعب بجميع فئاته

تحقيقا لمبدأ الاستعمار القائل : لا يقطع الشجرة الا أحد أغصانها(٦٨) ·

وتزداد خطورة كتاب - مستقبل الثقافة - اذا عرفنا :

[أن صاحبه قد شغل مناصب كثيرة وكبيرة فى الدولة مكنته من تنفيذ برامجه · أو ارساء أسس تنفيذها على الأقل ·

فقد كان عميدا لكلية الآداب بالقاهرة · وكان مديرا عاما للثقافة بوزارة التربية والتعليم - المعارف وقتئذ - كما كان مستشارا فنيا بها · وكان مديرا لجامعة الاسكندرية · وكان آخر الأمر وزيرا للتربية والتعليم · ثم ان شهرته وكثرة المعجبين به · وتأثر الكثرة الكبيرة من تلاميذه بآرائه ومناهجه وافتتانهم بها زاد فى خطورة أثره](٦٩) ·

وقد مكنته هذه المناصب وهذه الشهرة من عام ١٩٣٨م الى عام ١٩٥٨م من تنفيذ برامجه · وارساء هذه الخطة التى وصفها فى كتابه خلال أربعة عشر عاما ·

وأسس التغريب عنده تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هى :

١ - الدعوة الى حمل مصر على الحضارة الغربية · وطبعها بها · وقطع كل ما يربطها بماضيها واسلامها ·

---

(٦٨) أساليب الغزو الفكرى : د· على جريشة ص ٥٨ ·

(٦٩) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر : د· محمد محمد حسين جـ ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ ·

٢ - الدعوة الى اقامة الوطنية • وشئون الحكم على أساس مدنى لا دخل فيه للدين • أو بعبارة أصرح:دفع مصر الى طريق ينتهى بها الى أن تكون حكومتها لا دينية •

٣ - الدعوة الى اخضاع اللغة العربية لسنة التطور • ودفعها الى طريق ينتهى باللغة الفصحى - التى نزل بها القرآن الكريم - الى أن تصبح لغة دينية كالسريانية واللاتينية واليونيانة والقبطية(٧٠) •

بيان تلك الأسس :

يدعو فيه طه حسين المصريين الى اعتناق مبادىء الحضارة الغربية كلها • بكل ما فيها دون تمييز بين غثها وسمينها •

فيرى أن السبيل الى الحضارة والرقى والتقدم [واضحة بينة مستقيمة • لا عوج فيها ولا التواء • وهى واحدة فذة • ليس لها تعدد • وهى : أن نسير سيرة الأوربيين • ونسلك طريقهم • لتكون لهم أندادا • ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها • حلوها ومرها • ما نحب منها وما نكره • وما يحمد منها وما يعاب • ومن زعم لنا غير ذلك • فهو خادع أو مخدوع](٧١) • كما يقول : [اذا كنا نريد الاستقلال العقلى والنفسى الذى لا يكون الا بالاستقلال العلمى والأدبى والفنى • فنحن نريد وسائله بالطبع • ووسائله : أن نتعلم كما يتعلم الأوربى • لنشعر كما يشعر الأوربى • ولنحكم

---

(٧٠) مؤلفات فى الميزان : أنور الجندى ص ٢٠ •

(٧١) مستقبل الثقافة فى مصر طه حسين فقرة ٩ ص ٤١ •

كما يحكم الأوربى ، ثم لنعمل كما يعمل الأوربى ، ونصرف الحياة كما يصرفها(٧٢) .

ثم يتعجب طه حسين من حال المصريين ، كيف يسيرون على منهج الحضارة الغربية فى بعض المظاهر والشكليات فقط ، دون أن يسيروا على نهجها فى العقائد والألفاظ وكل ما تكنه النفوس من مبادىء وقيم وأخلاق وعادات فيقرر أن هذا نفاق يجب أن نتخلص منه ، ونكون فى باطننا أوربيون ، كما نحن فى الظاهر أوربيون ، ويقول عن هذا كله : [ومن الغريب أن تسير هذه السيرة - الأوربية الغربية - ونذهب هذا المذهب - الأوربى الغربى - فى حياتنا العملية اليومية ، ولكننا ننكر ذلك فى ألفاظنا ، وعقائدنا ، ودخائل نفوسنا فنتورط فى نفاق بغيض ، لا أستطيع أن أسيغه ، ولا أن أسكن اليه .. ان كنا صادقين فيما نقدم عليه كل يوم ، وفى كل ثنى من أثناء حياتنا العملية من تقليد الأوربيين ومجاراتهم ، فما يمنعنا أن نلائم بين أقوالنا وأعمالنا ، وبين آرائنا وسيرتنا ، فان هذا النفاق لا يليق بالذين يكبرون أنفسهم ويريدون أن يترفعوا بها عن النقائص والدنايا](٧٣) .

وواضح من خلال هذا الكلام أن طه حسين يدعو المصريين المسلمين أن يتحرروا من النفاق مع الغربيين ، ويتقبلوا كل الحضارة الغربية ، ويسيروا عليها فى ظاهرهم وباطنهم ، وذلك يعنى : [أن ينصهر المسلمون فى الحضارة الغربية المعاصرة .

---

(٧٢) السابق فقرة ٩ ص ٤٤ - ٤٥ .

(٧٣) السابق فقرة ٩ ص ٤٦ .

وبذلك يفقدون خاصيتهم • ويصبحون شيئا لا طابع له ، فيفقدون رسالتهم ومسئوليتهم وأمانتهم فى حمل رسالة الاسلام • واقامة المجتمع الاسلامى • وتبليغ الاسلام للعالمين](٧٤) •

وبهذا يتحقق التغريب الذى يعنيه طه حسين • وعبر عنه بكل صراحة ووضوح فى قوله : [ونهضت مصر منذ أول القرن الماضى نهضتها صريحة قوية بينة الأعلام • واضحة الاتجاه • وهى نهضة مهما يختلف فيها الناس • فلن يستطيعوا أن يختلفوا فى أنها تأخذ بأسباب الحياة الحديثة على نحو ما يأخذ بها الأوربيون فى غير تردد ولا اضطراب](٧٥) •

ثم يبدى تفاؤله وارتياحه الى ما وصل اليه المجتمع المصرى من تقبل للحياة الغربية بكل ما فيها • ويأمل فى المزيد من هذا التقبل • وأخذ يعدد بعض المجالات التى تأثر فيها المصريون بالغرب • فيقول : [حياتنا المادية أوربية خالصة فى الطبقات الراقية • وهى فى الطبقات الأخرى تختلف قربا وبعدا عن الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوظهم من الثروة • وسعة ذات اليد •

ومعنى هذا : أن المثل الأعلى للمصرى فى حياته المادية • انما هو المثل الأعلى للأوربى فى حياته المادية • نتخذ من مرافق الحياة ومظاهرها ما يتخذون • نفعل ذلك عن علم به

---

(٧٤) مؤلفات فى الميزان ص ٣٢ •
(٧٥) مستقبل الثقافة ص ٣٠ •

وتعمد له • ونفعل ذلك عن غير علم وعلى غير عمد • ولكننا ماضون فيه على كل حال • وليس في الأرض قوة تستطيع أن تردنا عن أن نستمتع بالحياة على النحو الذى يستمتع بها عليه الأوربى • ثم تجاوزنا ذلك الى جميع الأنحاء التى يحيا عليها الأوربيون • فاصطنعناها لأنفسنا غير متخيرين ولا محتاطين ولا مميزين بين ما يحسن منها • وما لا يحسن • وما يلائم منها وما لا يلائم •

ونستطيع أن نقول : ان مقياس رقى الأفراد والجماعات فى الحياة المادية مهما تختلف الطبقات عندنا • انما هو حظنا من الأخذ بأسباب الحياة المادية الأوربية وحياتنا المحتوية على اختلاف مظاهرها وألوانها • أوربية خالصة •

ونظام الحكم عندنا أوربى خالص • نقلناه عن الأوربيين نقلا فى غير تحرج ولا تردد • واذا عبنا أنفسنا بشىء من هذه الناحية • فانما نعيبها بالابطاء فى نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم • وأشكال الحياة السياسية • وقد اضطربت حياتنا السياسية فى هذا العصر الحديث • ولا سيما فى هذا القرن • بين الحكم المطلق • والحكم المقيد • فلم يكن اضطرابها بين هذين النوعين من الحكم كما ألفهما الشرق فى القرون الوسطى •

بمعنى أن نظام الحكم المطلق عندنا فى العصر الحديث • كان متأثرا بنظام الحكم المطلق فى أوربا • قبل انتشار النظام الديمقراطى • وأن نظام الحكم المقيد عندنا كان متأثرا بنظم الحكم المقيد فى أوربا أيضا (٧٦) •

---

(٧٦) السابق ص ٣١ ـ ٣٢ •

والتعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضى على النحو الأوربى الخالص ما فى ذلك شك ولا نزاع ، نحن نكوّن أبناءنا فى مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لا تشوبه شائبة . فلو أن عقول آبائنا وأجدادنا كانت شرقية مخالفة فى جوهرها وطبيعتها للعقل الأوربى ، فقد وضعنا فى رؤوس أبنائنا عقولا أوربية فى جوهرها وطبيعتها ، وفى مذاهب تفكيرها ، وأنحاء حكمها على الأشياء .

ويحلف مستهزءا بكل ما ينادى بالعودة فى التربية والتعليم الى الأصالة ، والخروج من التبعية للغرب ، فيقول : [ولعمرى انى أتخيل داعيا يدعونا الى ان نعدل بمدارسنا ومعاهدنا عن الطريق الأوربية التى سلكناها الى الطريق القديمة التى كان يسلكها آباؤنا وأجدادنا ، انى أتخيل داعيا يدعونا الى هذا ، فما أرى الا أننا سنلقاه ضاحكين منه مستهزئين به](٧٧) .

فأما الآن وقد عرفنا تاريخنا ، وأحسسنا أنفسنا ، واستشعرنا العزة والكرامة ، واستيقنا أن ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى الطبع ، ولا فى المزاج ، فانى لا أخاف على المصريين أن يفنوا فى الأوربيين(٧٨) .

الى هذا الحد وصل الأمر بطه حسين أن يدعو المصريين الى التغريب والفناء فى الحياة الغربية بزعم أنه ليس بين المصريين والغربيين فرق فى الجوهر ولا فى الطبع ، ولا فى المزاج ، ولم يع أن الفرق فى هذه الأمور لم ولن يختلف على ثبوته بين

---

(٧٧) السابق ص ٣٦ .
(٧٨) السابق ص ٥٤ ـ ٥٥ .

جميع البشر افرادا وجماعات . اثنان من بني آدم العقلاء .
فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف جوهر المصريين وطبعهم ومزاجهم
عن جوهر الأوربيين وطبعهم ومزاجهم ومع هذا يكابر ويؤكد
على ضرورة الاتصال بالحضارة الغربية . والازدياد منها . حتى
نصبح أوربيين شكلا وموضوعا فيقول : [اننا فى العصر
الحديث نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قوة من يوم الى
يوم . حتى نصبح جزءا منها . لفظا ومعنى . وحقيقة وشكلا .
على أننا لا نجد فى ذلك من المشقة والجهد ما كنا نجده لو أن
العقل المصرى مخالف فى جوهره وطبيعته للعقل الأوربى](٧٩) .

هذا هو أسلوب التغريب الذى ينشده طه حسين . وكان
هذا الأسلوب التغريبى نتيجة لنظام البعثات الذى وضعه قادة
التغريب من الشرقيين والغربيين مسلمين وغير مسلمين -
كوسيلة للغربة والبعد بين المسلمين والاسلام فى الشكل
والمضمون .

ثانيا : انشاء المدارس الأجنبية فى بلاد المسلمين :

حرص الاستعمار الغربى فى كل بلد ينزل به على انشاء
العديد من المدارس الأجنبية التى تخدم أهدافه الدينية
والسياسية والعسكرية . وهذه المدارس تأخذ الطفل منذ نعومة
أظفاره عجينة لينة طيعة . فتصوغه كما تريد . وتنشئه كما
تهوى وتبعده عن الاسلام بقدر ما تقربه من النصرانية . وتحببه
فى الغرب الصليبى . بقدر ما تبغضه فى الشرق الاسلامى .

---

(٧٩) السابق ص ٣٤ .

وقد صرحت المبشرة النصرانية ـ أنا ميلجان ـ عن أهداف هذه المدارس ومهمتها في بلاد العرب المسلمين فقالت : [ان المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى . وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم] .

وتقول أيضا عن كلية البنات الخاصة بالقاهرة : [فى كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات . وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى . وليس طريق الى دحض الاسلام أقصر من المدرسة](٨٠) .

وأكد القس زويمر رئيس ارسالية التبشير فى البحرين فى تقرير له عن أهمية المدارس . وما لها من التأثير قائلا : [ان المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون فى التحكك بالمسلمين . وقال أحد المبشرين : المدارس هى من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين](٨١) .

وفى مقالة جامعة لأحد الحكماء ـ أخذ يوجه الأنظار الى ما ينطوى عليه انتشار المدارس الأجنبية من أخطار ـ اذ يقول: [ما طمحت الدول الأوربية الى الاستيلاء على بلد أو اقليم من قارة افريقيا . أو بعبارة أخرى : ـ من الشرق عموما . الا وسبقت اليها بافتتاح المدارس بمرسليها الدينيين . ومن تخلق

---

(٨٠) التبشير والاستعمار د. مصطفى الخالدى ود. عمر فروخ ص ٦٧ وراجع الحلول المستوردة : د. يوسف القرضاوى ص ٢١ .

(٨١) الغارة على العالم الاسلامى ص ٣٧ .

بأخلاقهم ليمهدوا لها طريق الافتتاح • أو الاستعمار • علما منهم بأن مأمورية هؤلاء المعلمين ليست الا عبارة عن بث أخلاق وعوائد وتعاليم دينية كانت أو فنية •

ـ وهذا هو صلب العملية التغريبية المرادة لبلاد الاسلام ـ وهم اذا دخلوا قرية • وظهروا بهذا المظهر لا يلاقون معارضة أو ممانعة لأن حجتهم نشر العلم والتهذيب ورفع لواء التمدن• ومن لا يرضى بذلك • فليس له من اسم الانسانية نصيب تقوم عليه قائمة حرب التعنيف والتنديد بلسان كل خطيب وقلم كل كاتب • فلامناص من أن تقبل هذه الأقاليم الشرقية الوافدين اليها من المرسلين الذين هم نصراء الهداية والمعارف والتمدن فى الظاهر • وسفراء الاستعمار والاستيلاء فى الحقيقة(٨٢) •

ومن أشهر الجهود الأجنبية فى انشاء المدارس الأجنبية فى الشرق الاسلامى : مدرسة عينطورة أقدم مدارس الارساليات فى لبنان • اذ أنشئت عام ١٨٣٤م من قبل المبشرين • وبعد ذلك بعام : أنشأ القس الأمريكى وليم طوسون مدرسة فى بيروت • وأقام الدكتور كرنيل بولس فانديك مدرسة عالية فى عبية لبنان • وفى عام ١٨٤٧م أنشأ المبشرون الكلية السورية التى كانت تدرس العلوم باللغة العربية فى بداية عهدها(٨٣) • وبعد حوادث الفتنة الأهلية السورية أخذ

---

(٨٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ١ ص ١٤٦ •

(٨٣) تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين ١٩ ـ ٢٠ : جرجس سلامة ص ١٣ :

المبشرون ينشئون المدارس والكليات الكبرى ففى سنة ١٨٦٠م أنشأت الكلية الانجيلية الأمريكية للبنات • وفى سنة ١٨٦٥م تأسست المدرسة البطريكية للروم الكاثوليك • ثم مدرسة الثلاثة أقمار للروم الأرثوذكس فى سوق الغرب • ونقلت عام ١٨٦٦م الى بيروت • كما أنشأ المرسلون الأمريكان الكلية الأمريكية فى بيروت ١٨٦٦م وأسس الآباء اليسوعيون الكلية اليسوعية فى غزير ثم نقلت الى بيروت ١٨٧٤م وكانت تنفق عليها الحكومة الفرنسية(٨٤) •

والكلية الأمريكية بالقاهرة التى أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية • وقد كان القصد منها • أن تكون قريبة من المركز الاسلامى الكبير وهو الجامع الأزهرالشريف •

وكلية روبرت فى استانبول التى أصبحت تسمى بالجامعة الأمريكية هناك والكلية الفرنسية فى لاهور(٨٥) • وأسست فى لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الاسلامى الفريد فى تكوينه فى شبه القارة الهندية •

وكانت هذه المدارس والكليات الأجنبية فى البلاد الاسلامية حريصة كل الحرص على تشكيل الشباب المسلم تشكيلا يناسب اتجاهاتها وأغراضها • سواء أكانت دينية اجتماعية • أم

---

(٨٤) الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة على المحافظة ص ٢٥ •

(٨٥) التبشير والاستعمار : د• مصطفي الخالدي ود• عمر فروخ ص ١٠٨ •

سياسية واقتصادية · وتوجه تفكيرهم الوجهة التى ترغب فيها فقد كانت الكتب الدراسية التى تفرضها هذه المدارس على تلاميذها · موضوعة بطريقة استعمارية لا تتمشى مع الاتجاهات العربية الاسلامية · اذ هى بمثابة دعاية واسعة للدول الاستعمارية · وتحتوى على كثير من المبادىء التى لها أسوأ الأثر على التلاميذ المسلمين ·

فمثلا الكتب التى كانت تدرس فى المدارس الأجنبية فى مصر تؤكد : أن مصر بلد زراعى · وليس بلد صناعى · وغرست فى أذهان الكثيرين منهم : عجز مصر عن النهوض صناعيا · وتمجيد الاستعمار والمستعمرين ودراسة تاريخهم بشكل يمجدهم · ويضع بين يدى التلاميذ صورة واضحة عن تفوقهم المادى والعلمى والأدبى · هذا · مع اغفال تاريخ الاسلام والمسلمين · وعظمة المنطقة جغرافيا وصناعيا وحضاريا(٨٦) ·

وفى هذا الجو المظلم تخرجت أجيال من أبناء المسلمين متأثرة بألوان هذا التعليم الغربى · متطلعة الى الغرب ترى فيه القدوة والمثل الأعلى · وتأخذ فى نهم شديد كل عاداته وتقاليده فكرا وسلوكا بلا روية ولا تفحص ولا بصيرة · فاقدين الثقة فى تاريخهم وأصالتهم ·

---

(٨٦) تاريخ التربية والتعليم فى مصر · د· سعيد اسماعيل على ص ٤٣٩ ؛

ثالثا : المدارس الحديثة :

المقصود بهذه المدارس هي التى تقوم الدراسة فيها على أسس عربية خالصة · ولكن رواد التغريب فى الداخل والخارج هم الذين يوجهونها ويراقبونها · ويرسمون لها المناهج · ويضعون لها الأهداف والغايات التى يرضون عنها · ووسائلهم فى ذلك :

الكتاب الذى يخدم اتجاهاتهم ·

والمعلم الذى يمثل هذه الاتجاهات · وينقلها من السطور الى الصدور ·

والادارة التى تشرف على التنفيذ ·

والتوجيه الاستعمارى لهذه المدارس قد يكون مباشرا ومكشوفا · كوضع القسيس ـ دنلوب ـ الانجليزى مستشارا لوزارة المعارف المصرية فى عنفوان عهد الاحتلال البريطانى على مصر ·

وقد يكون الاشراف من وراء الستار عن طريق القادة الذين صنعهم الاستعمار من قبل على طريقته · وطبعهم على ما يحب ويرضى ·

وقد حازت هذه المدارس الوطنية الحديثة · على رضا المبشرين وتأييدهم فى السر والعلانية · رغم ما لها من طابع علمانى · وكان المبشرون يؤكدون القول دائما : [انه يجب أن نشجع انشاء المدارس · وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى ·

ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا

اللغة الانجليزية · وان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس أمرا صعبا جدا](٨٧) ·

ومعنى هذا : أن هذه الكتب المدرسية الغربية تشكك فى الانجيل والتوراة التى يؤمن بها المبشرون · ويدعون اليها فيما زعموا ·

فما الذى يفيد المبشرين اذا تزعزع اعتقاد الناس بالله والآخرة · وتزلزل ايمانهم بالكتب المقدسة · لو لم يكونوا من عملاء الاستعمار ومطاياه ؟!

ان هذا الأسلوب يدل بكل وضوح على أن غاية هؤلاء المبشرين وأهدافهم ليست دينية خالصة · كما يظن بعض الناس ·

وان هؤلاء المبشرين لا يرجون بعملهم هذا : الله والدار الآخرة · ولو كان هدفهم هو الله والآخرة · لاتجهوا أول ما يتجهون الى الملحدين والماديين الذين يشكلون معظم السكان فى أوربا · أو اتجهوا الى الشعوب الوثنية · بدل أن يتجهوا الى أعظم أمة مؤمنة موحدة فى الأرض · وهى أمة الاسلام الحنيف ·

رابعا : دور النشر :

وهى من أهم الوسائل التى استغلها دعاة التغريب للنشر التقاليد الغربية وسط المجتمع المسلم · وقد تعددت هذه الدور

---

(٨٧) التبشير والاستعمار : د· مصطفى الخالدى ود· عمر فروخ ص ٩٨ ·

والمؤسسات وانتشرت فى كافة أنحاء العالم الاسلامى تحت أسماء متعددة ٠

ومن أهم هذه الدور والمؤسسات وأخطرها أثرا فى الحياة الاسلامية المعاصرة ـ وخاصة فى مجال الفكر التربوى ٠ بسبب التعاون الوثيق الذى تم بينها وبين القيادات المسئولة عن التعليم ـ مؤسسة فرانكلين(٨٨) للطباعة والنشر ٠ القاهرة ـ نيويورك ٠

وهى تتخذ من القاهرة مركزا تطلق منه اشعاعاتها المختلفة الى شتى أنحاء الوطن العربى الاسلامى ٠ وبدأت نشاطها سنة ١٩٥٣م ٠ وذلك تنفيذا لاتفاقية التبادل الثقافى بين الحكومة المصرية وأمريكا ٠

وأخذت مؤسسة فرانكلين بنيويورك على عاتقها تنفيذ هذه الاتفاقية على أن تضطلع بمهمة نقل أمهات الكتب الأمريكية الى اللغة العربية ٠

واقترح عليها بعض المثقفين ممن استشارتهم هذه المؤسسة حينذاك ألا تكتفى بنقل الكتب الأمريكية فقط ٠ بل يحسن أن تنقل الى العربية أمهات الكتب الانسانية والعالمية أيا كانت ٠ ولكن المؤسسة كانت تعرف تماما الغاية التى تعمل من أجلها ٠ وهى : نشر كل ما هو أمريكى أو يعبر عن وجهة نظرهم فقط ٠

---

(٨٨) يتكون مجلس ادارة مؤسسة فرانكلين فى نيويورك من مندوبين عن دور النشر الاحتكارية في كثير من بلاد الشرق والغرب ؛

وضربت بهذه النصيحة وأمثالها عرض الحائط أو عرض البحر(٨٩) .

وكان المفروض أيضا أن تساعد هذه المؤسسة على نقل أمهات الكتب العربية الى اللغة الانجليزية . ولكن ذلك لم يوضع موضع التنفيذ الجاد . لأن المقصود فقط هو [التسلسل الى الثقافة الاسلامية كهدف مرحلى من أهداف نشر هذه المؤسسة الثقافية ، هدف غايته البعيدة احتواء الثقافة الاسلامية . وطبعها بطابع معين](٩٠) .

وعلى ضوء هذا الهدف . وعلى أساس من استمرار التبعية للغرب وللدول الاستعمارية بصفة عامة خرجت مؤسسة فرانكلين الى الحياة . واعتمدت على ثلاث وسائل أساسية . تآزرت معها بعض الوسائل الفرعية الآخرى .

الوسيلة الأولى : العمل على شغل دور النشر الكبرى . وتوجيه امكانياتها المختلفة لخدمة نوع معين من الانتاج . فأصبح الانتاج الأدبى محصورا فيما تبتغيه دور النشر من كسب مادى بصورة كاملة . ولا تحاول تلك الدور أن تقوم بأى لون من ألوان النشاط الثقافى بشكل يستجيب لحاجات الواقع أو يعمل على خلق القارىء الواعى المدرك لوضعه من المجتمع والحياة .

وأصبح ما يصدر عن هذه الدور .

---

(٨٩) فرانكلين وتخريب الثقافة العربية : عبد الجليل حسن ص ٧١ بمجلة الكاتب بالقاهرة يناير ١٩٦٧م .

(٩٠) الفكر التربوي العربي الحديث : د. سعيد اسماعيل ص ٤٢

اما صحفا يشرف على النشاط الثقافى فيها من لا يخدمون فكرة مخلصة بقدر ما يثيرون الضباب حول مصير الفرد والمجتمع والحياة الاسلامية عامة · واما آثارا فكرية وفنية · مستسلمة بشكل مباشرا وغير مباشر لتوجيه مؤسسة فرانكلين(٩١) ·

الوسيلة الثانية : هى اغراء ذوى المراكز الثقافية الكبرى للقيام بالنشاط المطلوب · وهؤلاء هم :

اما أساتذة فى الجـامعة · كالدكتـور زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وغيرهما ·

واما كتاب لهم تاريخهم وشهرتهم لدى القراء كنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهما ·

واما جماعة من الشباب المثقف الذى كان من المنتظر أن يؤدى دورا له خطره فى تاريخ الحيـاة المعـاصرة · [فالذين يقدمون الكتب الى القراء · أسماء لها خطرها الممتد من تاريخها لدى القارىء · والذين يقومون بنشاط المؤسسة فى الترجمة أو التأليف : أسـماء لامعة فى مجـالها · اما لصلتهم الوثيقة بالقارىء · واما لمعرفة المشرفين على المؤسسة بما لهم من خطر وقوة يمكن أن يلتف حولها القراء فى لحظة ما](٩٢) ·

الوسيلة الثالثة : هى جودة الاخراج المطبعى بشكل يلفت النظر · والاعتمـاد الى جانب ذلك : على كسب القـارىء من الناحية المـادية · اذ أن ثمن هذه المؤلفات المختلفة فى السوق

---

(٩١) دفاع عن الثقافة العربية : فتحى خليل ص٨٤ ـ ٨٥ ·

(٩٢) السابق ص ٨٥ ·

أقل بكثير من تكاليف طباعتها الممتازة • الى جانب ما تدفعه المؤسسة من تكاليف ضخمة لدور النشر • وللمشتركين فى الترجمة أو التأليف(٩٣) •

هذه هى أهم الوسائل الأساسية التى تعتمد عليها مؤسسة فرانكلين • وغيرها من دور النشر المختلفة للقيام بدورها الخطير فى تغريب الشرق الاسلامى وقد أفصح عن هذا الدور حسن جلال العروسى المستشار العام لمؤسسة فرانكلين حين قال : [اننا فى حاجة الى كل كتاب جديد تستطيع المطابع أن تخرجه من كتب مؤلفة • وكتب مترجمة • وكتب مقتبسة • وكتب جديدة • وكتب قديمة • وكتب مجددة • وكتب عربية • وكتب انجليزية • وكتب فرنسية • لا نبالى من كتبها • ولا بأى لغة نشرت • ولا من أى مصدر جاءت • بشرط واحد • هو أن تكون كتبا جيدة قيمة • فليس هناك كتب مناسبة • وأخرى غير مناسبة • ولا كتب خلقية • وأخرى غير خلقية • كما يقال بل هناك كتب جيدة • أو كتب رديئة](٩٤) •

هذا هو الدور الخطير لمؤسسة فرانكلين وغيرها هو تأليف وترجمة كتبا فى مجالات تخدم أغراضها التغريبية لا فرق بين كتب عربية أو غير عربية • ولا كتب خلقية أو غير خلقية • ولا كتب جيدة أو كتب رديئة •

---

(٩٣) السابق ص ٨٦ •

(٩٤) السابق ص ٤٠ •

خامسا : سـهولة المواصلات :

ان سهولة المواصلات فى العصر الحديث أدت الى سـهولة اتصال المسلمين بالبلاد الغربيـة • وتبـادلوا معها الزيارات والأفكار والبضائع وغير ذلك مما قرب المسلمين والغرب من بعضهما • وساعد على انتشار الأفكار والنظريات الغربية فى البلاد العربية والاسلامية ، وأدى الى تسرب كثير من أنمـاط الحياة الغربية الى العالم العربى الاسلامى •

ونتج عن هـذا الاتصـال قيام ثلاث حركات متداخلة فى بعضـها :

الأولى : سـياسية : وتتمثل فى تزايد المطـالبة بتقرير المصير • كما حدث فى الثورة الفرنسية •

الثانية اقتصادية اجتماعية : وتتمثل فى زيادة الطلب على بضائع الغرب • وفنونه • واقتباس المعايير الغربية • فى تنظيم المظاهر المـادية والخارجية للحياة العربية الاسـلامية • كمـا ظهرت أيضا فى المطالبة بتحرير المرأة • والغـاء نظـام تعدد الزوجات • والسفور •

الثالثة : ثقافية وخلقية : ففى الجـانب الخلقى : أصبح أساس السلوك السليم • هو الاقتناع الذاتى بسلامته • والرغبة فى المحافظة عليه •

ومعنى هذا : أن سلامة السلوك لم يعد أمرا تحتمه التقاليد او النصوص المقدسة • بل هو أمر تقرره حرية الفرد وشعوره بدوره الاجتماعى •

واما فى الجانب الثقافى : فقد أذكاه الاهتمام بالعلم الحديث وتاريخ الغرب وآدابه • وقامت محاولات لتجديد الأدب العربى والاسلامى • واتخاذ المقاييس النقدية الغربية للحكم عليه • وترجمة بعض عيون الأدب الغربى اليه •

ثم بدأ الأدباء العرب والمسلمين أنفسهم يتأثرون بروح الغرب • فظهر نوع من الانتاج الأدبى ذو طابع جديد •

كذلك اهتم المفكرون بتطبيق طرق البحث الغربية(٩٥) •

وقد انتهى هذا الأسلوب بالعالم الاسلامى الى مأساة كبيرة يعبر عنها سعد جمعة رئيس وزراء الأردن الأسبق فى حديثه عن مأساة الاسلام والمسلمين المعاصرة • التى وصلت بهم عنده الى مأساة ١٩٦٧م حيث قال : انها نهاية طبيعية بعد ربع قرن من التهتك والتفتك • والعمالة والنذالة • والفساد والالحاد • حيث كل أيديولوجيات التاريخ فى شرق الأرض وغربها • استوردناها وزورناها • وجرعناها للناس قدعا وقمعا وارهابا ليستبدلوها بعقيدتهم وحضارتهم ومقدساتهم فغرقنا فى مفازات الضياع • ومتاهات الفراغ • وخلت الساح من الأشراف • وصار معظم الجيل الجديد من الكتاب • هم جيل البدع الثورية • والفوضة الفكرية • والرفض العابث • والانبهار بكل ما يأتى من وراء الحدود](٩٦) •

---

(٩٥) تفاعل الفكر الاسلامى بالفكر الغربى فى البلاد العربية : حبيب ابن كورانى ص ٢٤٠ من كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته : كويلرينج

(٩٦) الله أو الدمار : سعد جمعة ص ٧ ، ٩ •

ثم يتحدث معه جمعة - فيما بعد المقدمة - بنفس أسلوبه الساخر والعنيف . عن أوضاع المسلمين اليوم . فيرى أن السبب فيما يعانيه الاسلام على يد أبنائه قبل أعدائه .

[ان هؤلاء الأبناء - مع الاسف الشديد - لا يعرفون عن الاسلام كثيرا أو قليلا . ويقيسون مبادئه وقيمه ومفاهيمه . بما هو سائد اليوم فى ديار العروبة والاسلام من ضياع وفراغ وجهل وتهتك وفجور . ولذا يعتقدون أن لا سبيل الى النهوض الا بالانسلاخ عن الدين . كما انسلخت أوربا . واقتباس الحضارة الأوربية بمحاسنها ومساوئها على السواء . وبما أننا عاجزون عن الأخذ بالمحاسن فاننا نكتفى باقتباس القاذورات الأخلاقية . وفلسفات الرفض والتمرد والعبث والتشنج وقصر حاجة الانسان على : الخبز والجنس والأفيون](٩٧) .

هل بعد هذه الحال التى وصل اليها المسلمون يكون من العقل أن ندعى أن الاسلام هو الذى ضيع المسلمين ؟ أم أن نقرر أن المسلمين - المتغربين - هم الذين ضيعوا الاسلام - ثم ضاعوا هم أنفسهم يوم ضيعوه لأنهم لم يكونوا قبل شيئا مذكورا ؟ ضيعوه بسبب انبهارهم بثقافات الغرب والشرق التى تسببوا فى ورودها الى بلاد الاسلام بشتى السبل والوسائل .

سادسا : وسائل الاعلام :

الاعلام هو : كل نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة . خلال أدوات ووسائل الاعلام والنشر

---

(٩٧) السابق ص ٤٤ .

الظاهرة والمعنوية • ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية • بقصد التأثير فى عقلية الجماهير أو غرائزها(٩٨) •

ولقد تعددت وسائل الاعلام فى العصر الحديث • وتطورت تطورا مذهلا • وأصبحت فى متناول جميع أفراد المجتمع المسلم فى كل زمان ومكان • حتى دخلت البيوت فى المدن والقرى ، والمصانع والحقول • بالليل والنهار •

ومن الملاحظ على كل وسائل الاعلام فى جميع أنحاء العالم الاسلامى : أنها تعمل فى خط واحد بأسلوب واحد • يكمل بعضها بعضا • حتى تبنى وتشكل كما تشاء فى وحدة متكاملة بحيث تضمن فى النهاية • تشكيل قيادات وأفراد • وغزو عقول وشخصيات • واحتلال أفكار ومفاهيم • ودفن تشريعات وقيادات • وزرع تنظيمات وسلوكيات • وهى لا تقتصر على مؤسسة واحدة • بل تمتد الى سائر المؤسسات ولا تكتفى ببعد واحد • بل تتناول سائر الأبعاد •

وبذلك كله : تحاول غزو المسلم داخل بيته وخارجه • وفى تربيته واقتصاده وفى ادارته وسياسته • وفى صغره وكبره • وفى رجاله ونسائه • وفى ريفه وحضره(٩٩) •

ومن الأهمية القصوى • أن يعلم الناس أن الاعلام سلاح ذو حدين :

---

(٩٨) المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى • د• عمارة نجيب ص١٧ •

(٩٩) وسائل مقاومة الغزو الفكرى : د• حسان محمد حسان ص ٧٧. والتيارات الفكرية والحركات المعاصرة د• أحمد عبدالرحيم السايح ص١٣٧.

فهو اما يبنى فيرتفع البناء الى عنان السماء ٠ان سار على الصراط السوى ـ ولم يتنكب جادة الطريق ٠ حتى قال أحد الاعلاميين : أعطنى شاشة أبنى بها شعبا ٠

وقد يكون الاعلام سلاحا هداما ٠ اذا حاد عن الطريق الصحيح٠وانحرف عنسواء السبيل ، حتى قال:كارلماركس: ـ لأنسين الناس الله بالمسرح ـ (١٠٠) وقد قال هذا الكلام قبل اختراع وسائل الاعلام الحديثة التى امتلأ بها الأثير عبر الأجواء ٠

وقد حرص رواد التغريب فى العالم الاسلامى على تلوين كل وسائل الاعلام فى البلاد الاسلامية حسبما يدور فى الغرب من ثقافة ومعتقدات ٠

ومن أهم وسائل الاعلام فىالعالم الاسلامى وأشدها تأثيرا:

الصحافة والسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون ٠٠ الخ

والواقع المشاهد خير دليل على مدى فاعلية وتأثير هذه الوسائل فى جميع أفراد المجتمع مثقفين وغير مثقفين ٠ صغارا وكبارا ٠ ذكورا واناثا ٠ حضريين وريفيين ٠

واجب المسلمين تجاه هذه الوسائل :

الواجب على المسلمين بشكل عام ٠ وعلى الدعاة والمثقفين بشكل خاص : الاستفادة من كل هذه الوسائل الاعلامية الحديثة

---

(١٠٠) كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا : الشيخ عبد الحميد كشك ص ١٠ ٠

استفادة عصرية ٠ لخدمة الاسلام والدعوة الاسلامية ٠ ولخدمة المجتمع المسلم دينيا ودنيويا ٠ ماديا ومعنويا ٠

[والمهم أن يعرف دعاة الاسلام أن التليفزيون والمسرح والسينما والراديو وغير ذلك من الوسائل ٠ ليست سوى وسائل اعلامية وتربوية وتوجيهية ٠ يجب أن نحسن استخدامها وأن دخول المسلمين فى عصرنا الحاضر ٠ معركة الاعلام بالسلاح التقليدى ـ وهو سلاح الخطب المنبرية وحدها ـ يصبح كمن يلقى بجنود المسلمين فى معركة فى القرن العشرين ٠ ولا سلاح لهم الا السيوف والخناجر ٠ وأمامهم عدو مسلح بأحدث الأسلحة الفتاكة ٠ وفى هذا ٠ وزر كبير يعرضهم للابادة والضياع](١٠١) ٠

فلابد من تحويل الاستديو والمسرح الى منبر وميدان جهاد لاعلاء كلمة الله ٠ وهذا التحويل لا يتم الا باحكام الرقابة على هذه الوسائل وما تعرضه من أعمال ٠ والهدف من الرقابة هنا:

١ ـ ضمان اتجاه العمل لخدمة الاسلام والمسلمين ٠ وعدم انحرافه عن هذا الهدف ٠

٢ ـ ضمان الالتزام بتعاليم الاسلام ٠ وصحة تطبيقها ٠

٣ ـ صحة الآيات القرآنية ٠ وأسباب النزول ٠والأحاديث النبوية الشريفة ٠

٤ ـ صحة الأحداث التاريخية الاسلامية ٠ والبعد عن الأحداث المشكوك فيها ٠ أو المشبوهة والمدسوسة ٠

---

(١٠١) التمثيلية ودورها فى خدمة الاسلام : د٠ أحمد شوقى الفنجرى ص ٨٠٠

٥ ـ صحة النطق باللغة العربية • والبعد عما يشين فصاحتها .
وهذا يقتضى ممن يتولى أمر الرقابة الدينية • أن يكون على مستوى عال من العلم بالدين والفقه والتاريخ واللغة • الى جانب أساليب الدراما العصرية ومقتضياتها • وأن يكون متفتحا واسع الأفق • فاهما للرسالة الدينية التى تؤديها التمثيلية الدينية • وأن يفهم أن رسالته ليست مجرد تصيد الأخطاء • أو وضع العقبات لافشال العمل • ولكن رسالته هى انجاح العمل الجيد بازالة الأخطاء • واعطاء العمل حقه من التقدير •

وأرى : أنه لن يكون هناك جهاز رقابى حكيم محكم غيور على الاسلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الجسيمة غير الأزهر الشريف بجامعه وجامعته ومجمعه وجميع هيئاته ومؤسساته الثقافية والادارية

وجهد الأزهر الشريف • والأزهريين المخلصين فى هذا الشأن واضح وملموس • وأدعو الله عز وجل أن يوفق القائمين على أمر الأزهر الشريف لما فيه صالح الاسلام والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

دكتور
سعيد محمد اسماعيل الصاوى
مدرس الدعوة والثقافة الاسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الاسلامية
بطنطا

المراجـــع

١ ـ الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة : على المحافظة ط المكتبة الأهلية بيروت ١٩٧٨م ٠

٢ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ٠ د٠ محمد محمد حسين ط مكتبة الآداب بالقاهرة بدون تاريخ ٠

٣ ـ أساليب الغزو الفكرى : على جريشة بالاشتراك ط ٣ دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

٤ ـ أصالة الحضارة العربية د٠ ناجى معروف ط ٣ دار الثقافة بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ٠

٥ ـ أصالة الفكر العربى الاسلامى فى مواجهة الغزو الثقافى : أنور الجندى ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ٠

٦ ـ أهداف التغريب فى العالم الاسلامى : أنور الجندى ٠ ط الأزهر الشريف ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ٠

٧ ـ تاريخ التربية والتعليم فى مصر : وسعيد اسماعيل على ط عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٥م ٠

٨ ـ تاريخ التعليم فى عهد محمد على : أحمد عزت عبد الكريم ٠ ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٨م ٠

٩ ـ تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين ١٩ و ٢٠ : جرجس سلامة ط المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون بالقاهرة ١٩٦٣م ٠

١٠ ـ التبشير والاستعمار : د٠ مصطفى الخالدى ٠ ود٠ عمر فروخ ط ٢ بيروت بدون تاريخ ٠

١١ ـ تلخيص الابريز فى تلخيص باريز : رفاعة رافع الطهطاوى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م ٠

١٢ ـ التيارات الفكرية والحركات المعاصرة ٠ د٠ أحمد عبد الرحيم السايح ط ١ القاهرة ١٩٩١م ٠

١٣ ـ الثقافة الاسلامية بين الغــزو والاستغزاء : د٠ عبد المنعم النمــر ط دار المعارف بمصر ١٩٨٧م ٠

١٤ ـ الثقافة والثقافة الاسلامية : سميح عاطف الزين ط ١ دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٣م ٠

١٥ ـ حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى : جلال مظهر : مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٤م ٠

١٦ ـ الحلول المستوردة ٠ وكيف جنت على أمتنا : د٠ يوسف القرضاوى ط مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٧٧م ٠

١٧ ـ الدعوة الى الاسلام : عبد الكريم الخطيب ط القاهرة بدون تاريخ٠

١٨ ـ دفاع عن الثقافة العربية : فتحى خليل ٠ ط دار الفجر بالقاهرة ١٩٥٩م ٠

١٩ ـ دور الاستشراق فى تغريب المرأة المسلمة : د٠ عبد الفتاح بركة ط مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ٠

٢٠ ـ رسالة فى الطريق الى ثقافتنا : محمود محمد شاكر ٠ ط الهلال بمصر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ٠

٢١ ـ الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته : كويلرينج : ترجمة د٠ عبد الرحمن أيوب ٠ ط القاهرة بدون تاريخ ٠

٢٢ ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية ٠ والفكرة الغربية:أبو الحسن الندوى ط ٥ دار القلم بالكويت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ٠

٢٣ ـ ضحى الاسلام : أحمد أمين ٠ ط ١٠ مكتبة النهضة المصرية١٩٨٢م

٢٤ ـ طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام : أنور الجندى · ط ٢ دار الاعتصام بمصر ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ·

٢٥ ـ الظاهرة القرآنية : مالك بن نبى : ترجمة د· عبد الصبور شاهين ط دار الفكر دمشق ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ·

٢٦ ـ العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة : عزت قرنى ط سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٠م ·

٢٧ ـ الغارة على العالم الاسلامى : أ·ل· شاتليه · ترجمة محب الدين الخطيب · ومساعد اليافى · ط المكتبة السلفية بالقاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ·

٢٨ ـ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام : د· عبد الستار فتح الله سعيد : ط دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ·

٢٩ ـ القاموس المحيط : الفيروزآبادى · ط الحلبى بمصر بدون تاريخ·

٣٠ ـ كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا : عبد الحميد كشك · ط المختار الاسلامى بالقاهرة بدون تاريخ ·

٣١ ـ الله · أو الدمار : سعد جمعة ط ٣ المختار الاسلامى بالقاهرة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ·

٣٢ ـ مؤلفات فى الميزان : أنور الجندى : ملحق مجلة منار الاسلام عدد جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ·

٣٣ ـ مختار الصحاح : أبو بكر الرازى : ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ ·

٣٤ ـ المستشرقون : نجيب العقيقى : ط دار المعارف بمصر ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ·

٣٥ ـ مستقبل الثقافة في مصر : طه حسين : ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٤٤م ·

٣٦ - المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية : ط دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٧ - مقدمة ابن خلدون : ط دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٣م .

٣٨ - موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية : د. أحمد شلبى ط ٤ ، ٧ مكتبة نهضة مصر ١٩٧٦م .

٣٩ - نحن والحضارة الغربية : أبو الأعلى المودودى . ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .